بســــــــــــم الله الرحمن الرحيم

الـمـقـدمـــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديــه،ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

(( يَا أَيُّـهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَلْتَـنظُرْ نَفْسٌ مَّـا قَـدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))(1) (( يَا أَيُّــهَا الّـَذِينَ آمـَنُواْ اتَّقــُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَــاتِهِ وَلاَ تَمُــوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتــُم مُّسْلِمُــونَ ))(2) (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ))(3)

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخيــر الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها،وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.(4)

أمــا بعـــد :ـ

ففي دراستنا هذه أخترنــا آيــة عظيمــة من آيات الله الكريم في كتابه الخالد، وهي قوله تعالى : (( إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالإِحْسَــانِ وَإِيتَـائِ ذِي الْقُــرْبَى وَيَنْهَـى عَنِ الْفَـحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ))(5) فهذه الآية هي التي يعجّب منها الصديق والعدو من أوامرها ونواهيهاومطالبها ومعانيها ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- سورة الحشر – 18 2- سورة آل عمران – 102 3- سورة الأحزاب – 70 و 71 4- ينظر سنن النسائي – 3 / 188 –كتاب صلاة العدين ـ باب كيفية الخطبة ـ رقم الحديث 1578 5- سورة النحل – 90

والإعجاز البلاغي فيها ، كما أخرجها البخاري في الأدب وإبن جرير في تفسيره و الطبراني وصححه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان ، عن شتيربن شكل عن عبدالله بن مسـعود رضي الله عنه أنه قال :-"هي أجمـع آية في القرآن الكريم للخــير والشــر، أو للخــير يمتثل وللشـــرّ يجتنب(1). فهـي التي تسببت في إسلام عثمان بن مظعون وإستقرار الإيمان في قلبه ، كما ذكره إبن كثير في تفسيره، وقـد روى الحـافظ أبــو يعلى في كتاب معــرفـة الصحــابة كما أورده إبن كثيرفي تفسيره والشوكاني في فتح القدير والآلوسي في روح المعاني حين سمع أكثم بن صيفي هذه الآية قال لقومه "كونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا فيه أذنابا،وكونوا فيه أولا ولاتكونوا فيه آخرا(2).فهي التي تعجّب الوليد بن المغيرة منها حين نزولها وقال:"والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هوبقول بشر(3) .

بسبب هذه الفضائل وغيرها بكثير أخترنا هذه الآية الكريمة للدراسة ، راجين من الله سبحانه أن يقبل منا وأن يحسبنا من الذين يقومون لخدمة كتابه و يبذلون جهدهم في نشر دينه الخالد و يحيون سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

فمنهجنا في هذه الرسالة ، دراسة موضوعية لهذه الآية ، إذ حددنا الموضوعات من أول الآية إلى آخرها ، و وضعنا لها خطة تشتمل كل المواضيع ، وحاولنا من خلال دراستنا أن نبين مطالب كل موضوع كما هو مقررفي الأية تحت ضوء كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وخطة البحث تتكون من أربعة فصول : الفصل الأول يشتمل على ثلاثة مباحث ،قمنا في

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1-رواه البخاري في الأدب - 171- رقم الحديث489- وأبن جرير الطبري في تفسيره : 7/634- والطبراني في المعجم الكبير: 9/132 - رقم الحديث 8658- والحاكم في المستدرك : 2/ 388- رقم الحديث 3358- والبيهقي في شعب الإيـــمان : 2/ 473 – رقم الحديث 2440. 2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 14/ 219 ، و تفسير القرآن العظيم – 2/769 ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من عم التفسير – 3/ 269 . 3- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – 10 / 147

المبحث الأول بدراسة وجيزة لسورة النحل التي وردت فيها هذه الآية ، من حيث سبب نزولها و مكانتها في القرآن و وجه الإرتباط بما قبلها وما بعدها ، وسبب تسمية السورة ومحاور وموضوعات و أغراض هذه السورة المباركة . وبيّنا في المبحث الثاني سبب نزول هذه الآية ومكانتها وتفسيرها ووجه الإرتباط بما قبلها وما بعدها.

وفي المبحث الثالث قمنا بدراسة أهم ما تدل عليه هذه الآية الكريمة ، وهو وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تبيَّن لنا من قوله تعالى "إن الله يأمر...وينهى..." إذ قمنا بدراسة هذا الركن العظيم وأطلعنا على أهميته و دليل وجوبه وكيفيته في الكتاب والسنة ، وبينا من خلالها شروط الآمروالناهي ومراتب تغيير المنكر وإنكاره في مختلف المجتمعات، وتحدثنا عن كيفية التعامل مع السلاطين ورأي الطوائف الضالة في هذا المجـال، ورأي المعـتزلة في هذا على وجه الخصـوص ، وفي العقيـدة بـوجه عـام .

وفي الفصل الثاني: أخرجنا في الآية الأسس والموضوعات الإيجابية التي أمرالله بها سبحانه بقوله " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى"حيث يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول: قمنابدراسة أول المأموربه وهوالعدل، حيث بدأنا بتعريفه، وبينا فضله ومكانته في الكتاب والسنة، وتحدثنا عن كمال العدل الإلهي في الكون ومع البشرية بوجه الخصوص ، ونهيه عن الظلم والجورفي الأرض، وبعد هذا قمنا بدراسة موجزة لأبرز مايدل عليه العدل في هذه الآية وهي كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " .

كما هو معلوم في قول أكثر المفسرين وفي قول أقدمهم حبر الأمــة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما. وفي المبحث الثاني: أخرجنا ثاني المأموربه وهو الإحسان، إذ قمنا بتعريفه ودراسة فضائله ومكانته ودلالاته في الكتاب والسنة وأوردنا من أهم نماذج الإحسان وتكلمنا عنه بإختصارفي هذا المبحث. وفي المبحث الثالث: تحدثنا عن أهم أنواع الإحسان وهو إيتاء ذي القربى من ضمنه برّالوالدين وصلة الأرحام، مع أن هذا من أنواع الإحسان إلا أننا أفردناه بالذكر لكثرة الإهتمام به ولعظمة شأنه ، كما أفرد الله سبحانه بالذكر بجانب الإحسان في الآية الكريمة، وبينا في المبحث وجوب برّالوالدين وصلة الأرحام، وتحريم العقوق وقطيعة الرحم.

وفي الفصل الثالث: أخرجنا الأسس والموضوعات السلبية التي نهى الله عنها سبحانه بقوله " وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي " ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث ، في المبحث الأول قمنا بدراسة الفحشاء من حيث تعريفها وتحريمها بكل أنواعها في الكتاب والسنة،وتحدثنا عن أبرز معاني الفحشاء و هو الزنا وما يتعلق به. وفي المبحث الثاني درسنا المنكروبينا تعريفه وتحريمه بكل أنواعه،وتكلمنا عن أهم أنواع المنكرات وتغليظ تحريمها في ضوء الكتاب والسنة. وفي نهاية هذا الفصل في المبحث الثالث أشرنا إلى البغي، وقمنا بدراسته من حيث تعريفه وذمه في الكتاب والسنة ، وكيفية التعامل مع البغاة وأصنافهم وشروطهم والأوامرالتي تتعلق بهم .

والفصل الرابع والأخيريتعلق بــخاتــمــة الأية وهو قوله تعالى "يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون" ويتكون هذا الفصل من مبحثين، ففي المبحث الأول درسنا الموعظــة بتعريفها وفضائلها ومكانتها في الكتاب والسنة. وفي المبحث الثاني قمنابدراسة التذكرة بتعريف الذكروفضله ومكانته، وتكلمنا عن خصائص الذكر وفوائده في حياة المسلم .

ومن أهم المصادر والمراجع التي نقلنا النصوص منها وعلى رأسها القرآن الكريم وكتب الحديث ومن ضمنها الكتب التسعة، وأمهات التفاسير وكتب اللــغة والمعاجم وكتب الأخلاق والعقيدة وغيرها .

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في كتابة هذه الرسالة هي جمع المصادر والمراجع ونقل المــعلــومات منها،بسبب عدم وجود المكتبات الكبيرة في مناطقنا . لكن بحمدالله وفضله عزوجل مع هذه الصعوبات والمشكلات التي واجهتنا في كتابة البحث، بذلنا جهدنا في هذا المجال، لتقديم هذه الرسالة ، وحاولنا بجد وإخلاص في هذا السبيل وننجح إن شاء الله تعالى. ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة دراسة موضوعية لآية من الآيات القرآنية، ولو درست هذه الآية حق الدراسة من قبل علماء الأمة بكل موضوعاتها لاحتاجت إلى مجلدات وتحتاج إلى جهد أكبر وأكثر، لأن هذه الإية الكريمة جامعة لكل خير يمتثل ولكل شرّ يجتنب،فهي جامعة لأصول الإسلام كله، لا بد أن يُعطي حقها بأحسن الطرق. ومع هذا أننا بذلنا ما بوسعنا من جهد وإخلاص لخدمة هذة الآية الكريمة ودرسناها دراسة موضوعية، وبينا مافيها من الأوامروالنواهي والمتطلبات، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا وأن يجعل هذه الرسالة سداً عظيماً بيننا وبين نار جهنم، وأن يوفقنا لخدمة دينه، ويثبتنا على صراط نبيه صلى الله عليه وسلم، ويهدينا لفهم أكثرمن كتابه الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

والحمد والثناء لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين................

البــــاحــــث

12 / 8 / 2008

الفصــــــل الأول

دراسة عامة لهذه الآية الكريمــــــــة ودلالتــــها .

ويشتمل على المباحث الاتية :

المبحث الأول :ـ

التعــــــريف بســــــــورة النحـــــــــل .

المبحـث الثاني :ـ

أجمع آية للخيروالشر,نزولها ومكانتها وتفسيرها و وجه الإرتباط بما قبلها ومابعدها .

المبحث الثالث :ـ

من أهم ما يدل عليه هذه الآية الكريمة (( وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)).

المــبحـــث الأول :ــ

التعــــــريـف بســــورة النحــــــل

ويشتمل على مطلبين الآتيين :

المطلب الأول:ــ

السبب والمكان الذين نزلت فيهما السورة ووجه الإرتباط بما قبلها وما بعدها .

المطلــب الثــانــي:ــ

ســبب التسمـــــية ومحــــاور ومـوضوعات وأغـــراض هذه السورة المباركة.

المـــطلب الأول:-

السبب والمكان الذين نزلت فيهما السورة ووجه الإرتباط بما قبلها ومابعدها.

ففي بداية هذه السورة الكريمة , يخبر تعالى عن إقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدّال على التحقيق والوقوع لا محالة ، كقوله: (( أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ))(3)  وقوله : (( إقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ))(1) ،وقال تعالى أيضا : (( إقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وِاْنْشَقَّ الْقَمَرِ ))(2) أي: قرب ما تباعد فلا تستعجلوه . يحتمل أن يعود الضمير على الله و يحتمل أن يعود على العذاب , وكلاهما متلازمان , كما قال تعالى : (( وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلآ أَجَلٌ مُّسَمَّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ولَيَأْْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ, يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ )) (4).

وروي عن عقبة بن عامر قال, قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: " تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي منادٍ فيها يــأيها الناس ، فيقول الناس بعضهم لبعض هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول نعم, ومنهم من يشك،ثم ينادي الثانية يــأيها الناس,فيقبل الناس بعضهم لبعض هل سمعتم؟ فيقولون: نعم, ثم ينادي الثالثة يــأيها الناس, أتى أمر الله فلا تستعجلوه، قال رسول الله صلى الله عليه وسم : فوالذي نفسي بيده إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أبدا، وإن الرجل ليمدن حوضه فما يسقي فيه شيئا أبدا، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبدا، قال: ويشتغل الناس(5)." وعن ابن عباس ’ اتى امرالله ’ قال: خروج محمد صلى الله عليه وسلم(6). وعنه ايضا, انه لما نزل قوله تعالى : (( إقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- سورة النحل – 1 2- سورة الأنبياء – 1 3- سورة القمر – 1 4- سورة العنكبوت – 53 و 54 5- رواه الحاكم في المستدرك – 4/582- رقم الحديث8622- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان-1411هـ 1990م - للإمام محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، و رواه الطبراني في المعجم الكبير – 17/325- رقم الحديث 899- الطبعة الثانية- مكتبة العلوم والحكم – الموصل العراق- 1404هـ 1983م- الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني-تحقيق:حمدي بن عبدالمجيد السلفي. تعليق الذهبي قي التلخيص : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، واللفظ للحاكم 6- الدر المنثورفي التفسير المأثور- 5/108 –الطبعة الثانية- دار الفكر - بيروت - لبنان – 1413هـ1993م - للإمام عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي – ( المتوفى911هـ )

وَانْشَقَّ الْقَمَرِ )) فقال الكفار: بعضهم لبعض أن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت, فامسكوا عن بعض ماكنتم تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء, قالوا ما نرى شيئا, فأنزل الله: ((إقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ))فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة, فلما إمتدت الأيام قالوا يامحمد مانرى شيئا مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى: (( أتَى أَمْرُاللهِ )) فوثب رسول الله صلى الله عيه وسلم, ورفع الناس رؤوسهم فنزل: (( فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ)) فاطمأنوا(1).ولما نزلت هذه الآية, قال النبيُّ صلى الله علي وسلم : "بعثت انا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه إن كادت لتسبقني" وقال الآخرون, الأمرهاهنا العذاب بالسيف(2).

وروى مجاهد عن إبن عباس أنها مكية ، وفي رواية الحسن وعكرمة وعطاء أنها مكية كلها, قال ابن عباس في رواية, أنه نزل منها بعد قتل حمزة عم النبيِّ صلى الله عليه وسلم: (( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ الاية126)) وفي رواية أخرى,هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة وهي:(( وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِاللهِ ثَمَناً قَلِيلاَ..الى قوله..يَعْمَلُونَ الاية95-97 ))(3).وجاء في تفسير القرطبي أنها مكية غير قوله تعالى:(( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ الاية126))،نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وشهداء أحد، وغير قوله تعالى:(( وَاصْبِرْوَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ الاية127)) وغيرقوله:(( ثُمَّ إنَّ رَبَكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا الاية110)) وأما قوله:(( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُواالاية41)) فمكي في شأن هجرة الحبشة(4). وقال الشعبي :كلها مكية الى قوله: (( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ..الى آخرالسورة 126-128

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ينظر زادالمسير في علم التفسير– 4/426- الطبعة الثانية ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ1422هـ2002م ـ للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمدالجوزي (المتوفى-597هـ)خرج آياته وأحاديثه ووضح حواشيه:أحمد شمس الدين

2- ينظر صحيح البخاري – 4/1881- كتاب التفسير باب سورة النازعات رقم الحديث4652- وصحيح مسلم – 4/ 2268- كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة رقم الحديث2950- وينظر :كتاب التعريف بسور وملتقى أهل الحديث وموقع أم الكتاب للأبحاث www.deen.com القرآن- 5 – شبكة العنكبوتية – موقع دين

info@omelketab.net والدراسات الإلكترونية

3- ينظر زادالمسير في علم التفسير– 4/ 425.

4- ينظر الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسيرالقرطبي ـ 10/65- الطبعة الأولى ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ 1420هـ 2000م- لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ( المتوفى 671 هـ ) تحقيق : سالم مصطفى البدري .

وقال قتادة:هي مكية إلا خمس آيات ،الآيتين95-96 ، والآيات 126-128 ، وقال ابن ابي السائب هي مكية إلا خمس آيات، الآية41 ،والآية110 , وثلاث آيات في آخرالسورة 126-128 ، وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات ، قوله: (( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُواالاية41 )) ، وقوله : (( مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ... الأية106)) ، وقوله: (( ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا الاية110)) ، وقوله: (( وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً الاية112 )) , وقوله: (( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ...إلى آخر النحل آيات126-128 ))، وقيل : أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة وبقيتها بالمدينة (1) . وفي تفسير الجلالين أنها مكية كلها إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية (2) .

وعن ابن عباس قال: سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها، فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من أُحد ، واخرج إبن مردويه عن ابن عباس قال:لما نزلت "أتَى أمْرُاللهِ" ذعر أصحاب الرسول حتى نزلت "فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ" فسكنوا (3) .

فهي مكية في قول الجمهور إلا ثلاث آيات الأخيرة ،وعن قتادة وجابر بن زيد أن أولها مكي إلى قوله تعالى: (( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُواالاية41 )) فهو مدني إلى آخر السورة (4) .

وأما وجه الإرتباط بما قبلها ، لما ذكر في آخر السورة السابقة المستهزؤون المكذبون له صلى الله عليه وسلم ، ابتديء هنا بقوله تعالى: (( أتَى أمْرُاللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ)) المناسب لذلك على ما ذكره غير واحد في معناه وسبب نزوله ، وجاء في البحرالمحيط في بيان

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- زادالمسير في علم التفسير– 4/ 425-426.

2- تفسير الجلالين – 1/ 345- الطبعة الأولى- دار الحديث - القاهرة- مصر- للإمامين : محمد بن احمد جلال الدين المحلي(م 864هـ) و عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي - (م 911هـ).....

3- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – 3/ 146- دارالفكر - بيروت - لبنان -

محمد بن علي بن محمد الشوكاني – (المتوفى 1173هـ).

4- تفسير التحرير والتنوير – 2323.- لسماحة الأستاذ العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

وجه الإرتباط انه تعالى لما قال:((فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعينَ))(1)،كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا ، فقيل (( أتَى أمْرُاللهِ))فإن المراد به على قول الجمهور يوم القيامة . وذكر جلال الدين السيوطي أن آ خر الحِجرشديدة الإلتئام بأول هذه، فإن قوله: ((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين))(2)،الذي هو مفسر بالموت ظاهر المناسبة بقوله سبحانه هنا "أتى أمرالله" وانظر كيف جاء في المقدمة " يأتيك " بلفظ المضارع وفي المتأخرة "أتى" بلفظ الماضي، لأن المستقبل سابق على الماضي كما تقرر في محله والأوامر واحد الأمور، وتفسيره بيوم القيامة كما جاء في بحرالمحيط وفسربما يعمه وغيره من نزول العذاب الموعود للكفرة (3).

وأما وجه الإرتباط لما بعدها، مع سورة الإسراء التي تتضمن رموزا كثيرة منها ، " إثبات دلائل تفرد الله بالألوهية والاستدلال بآية الليل والنهار وما فيهما من المنن على إثبات الوحدانية والتذكير بالنعم التي سخرها الله للناس وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق وما تقتضيه من شكر المنعم وترك شكر غيره وتنزيهه عن اتخاذ بنات له

وإظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته وما علمه الله المسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه ومعاملة بعضهم مع بعض والحكمة في سيرتهم وأقوالهم ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم(4).

وغيرها من الرموز الدينية والإجتماعية " فقال أبو حيان في ذلك كما يروي الآلوسي في تفسيره: أنه تعالى لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبرونهاه عن الحزن على الكفرة وضيق الصدرمن مكرهم وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والشعر

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- سورة الحجر - 92

2- سورة الحجر – 99.

3- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - 14/ 90.ـ الطبعة الأولى - دار الفكر-بيروت- لبنان 1414هـ1993م . ـ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ( المتوفى 127هـ ) – نقلا عن تفسير أبي حيان الأندلسي ـ

4- تفسير التـــــحرير والتنـــــــــوير – 2420 .

وغير ذلك مما رموه به وحـاشاه عقـب ذلك بـذكـر شـرفـه وفضــله وعلـــو منزلــــته عنــده عـــز شأنه (1).

وقيل : وجه ذلك اشتمالها على ذكر نعم منها خاصة ومنها عامة وقد ذكر في سورة النحل من النعم ما سميت لأجله سورة النعم واشتمالها على ذكر شأن القرآن العظيم كما اشتملت تلك. وذكر سبحانه هناك في النحل:(( يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ))(2)،وذكر ههنا في القرآن:(( وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ))(3)، وذكر سبحانه في تلك أمره بإيتاء ذي القربى وأمر هنا بذلك مع زيادة في قوله سبحانه :(( وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالمَسَكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرَا))(4)، وذلك بعد أن أمر جلّ وعلا بالإحسان ألى الوالدين اللذين هما منشأ القرابة إلى غير ذلك مما لا يحصى (5).

فهذه هي أهم الموضوعات التي نزلت فيها سورة النحل و وجه الإرتباط بما قبلها وما بعدها عند أهل العلم والتفسير ، وسنطلع إن شاء الله تبارك وتعالى على أهم ما تضمنته هذه السورة المباركة ..............

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - 15/ 2 . 2-سورة النحل – 69 3- سورة الإسراء - 82 4- سورة الإسراء - 26 5- المصـــــــدر نفســــــه - 15/ 2 و3

المطلب الثاني :ـ

سبب التسمية ومحاورموضوعات وأغراض هذه السورة المباركة.

سميت هذه السورة عند السلف بسورة "النحل" ، وهو إسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة . ووجه تسميتها بذلك أن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى . وعن قتادة أنها تسمى سورة النِعَم ، أي: بكسر النون وفتح العين ،لما عدد الله فيها من النِعَم على عباده (1) . وقيل سميت هذه السورة الكريمة "سورة النحل"، لإشتمالها على تلك العبرة البليغة التي تشير إلى عجيب صنع الخالق سبحانه ، وتدل على الألوهيـــة بهــذا الصنع العجيب (2) .

وروى حماد عن علي بن زيد قال: كان يقال لسورة النحل "سورة النِعَم" يريد لكثرة تعداد النِعَم فيها (3). وفي قول الحسن وعكرمة و عطاء وجابر ، ايضاً: تسمى سورة النِعَم بسبب ماعدد الله فيها من نعمه على عباده (4) .و أما بالنسبة لمكان السورة في القرآن الكريم ، فهي تعد عند جمهورالمفسيرين أنها مكيــة ما عدا : (( وَإنْ عَاقَبْتُمْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ....الى..... إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ الأية126-128)) فمدنيــة . وهذه السورة الكريمة من المئين، وفي ترتيب المــصحف فهي السورة السادسة عشرة ، ونزلت بعد " سورة الأنبياء " وقبل " سورة السجدة " وقد عدت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور وآيها مائة وثمان وعشرون بلا خلاف . بدأت السورة بفعل الماضي (( أتَى أمْرُاللهِ فَلاَتَسْتَعْجِلُوهُ )) . وفيها سجدة التلاوة (( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الأَرْضِ مِنْ دَآبَّةِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَهُمْ لاَيَسْتَكْبِرُونَ ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ))(5) . وهي في الجزء الرابع عشر مع سورة الحِجروفي الحزبين السابع والعشرين والثامن والعشرين تقع بعد " سورة الحِجر" وقبل

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ينظر: تفسير التحـــــــــــــرير والتنــــــــــــــوير - 2323

www. Deen.com 2- التعريف بســــور القرآن الكـــــــريم – 5 – شبكة العنكبوتية – موقع دين -

3-ينظر: زاد المسير في علم التفسير – 4/ 426.

4- الجامع لأحكام القرآن-10/65 ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني- 3/146 5- سورة النحل – 49 و 50

"سورة الإسراء" (1) . وأما أغراض السورة ، فسورة النحل من السور المكية ألتي تعالج موضوعات العقيدة الكـــبرى ألألـوهيــــة والوحي والبعث والنشور، وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية في ذلك العالم الفسيح في السموات والأرض والبحار والجبال والسهول والوديان والماء الهائل ، والنبات النامي والفلك التي تجري في البحر والنجوم التي يهتدي بها السالك في ظلمات الليل ، وتلك المشاهد التي يراها الإنسان في حياته ويدركها بسمعه وبصره وهي صورة حية مشاهدة دالة على وحدانية الله جل وعلا، وناطقة بآثار قدرته ألتي أبدع بها الكائنات (2) .معظم ما اشتملت عليه السورة إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته وأدلة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم وإن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم عليه السلام وإثبات البعث والجزاء فابتدئت بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أنذر به من عذاب الله الذي يستهزئون به وتلا ذلك قرع المشركين وزجرهم على تصلبهم في شركهم وتكذيبهم ،وانتقل إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك ؛ فابتدأ بالتذكير بخلق السماوات والأرض وما في السماء من شمس وقمر ونجوم وما في الأرض من ناس وحيوان ونبات وبحار وجبال وأعراض الليل والنهار وما في أطوار الإنسان وأحواله من العبر وخصت النحل وثمراتها بالذكر لوفرة منافعها والاعتبار بإلهامها إلى تدبير بيوتها وإفراز شهدها والتنويه بالقرآن وتنزيهه عن اقتراب الشيطان وإبطال افترائهم على القرآن والاستدلال على إمكان البعث وأنه تكوين كتكوين الموجودات والتحذير مما حل بالأمم التي أشركت بالله وكذبت رسله عليهم السلام عذاب الدنيا وما ينتظرهم من عذاب الآخرة (3).

ويقابل ذلك بضده من نعيم المتقين المصدقين والصابرين على أذى المشركين والذين

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- زاد المسير في علم التفسير-4/425- ينظر: الجامع لأحكام القرآن – 10/65- و: تفسير القرآن العظيم- 2/562- و : الدُّر المنثور-5/107- و : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني- 3/146- و : تفسير التحرير والتنوير- 2323- وغيرها من كتب التفسير و الدراسات القرآنية.

www. Deen.com 2- التعريف بسور القرآن الكريم – 4- شبكة العنكبوتية – موقع دين -

3- تفسير التحــــــرير والتنــــــــوير – 2323 و 2324.

هاجروا في الله وظلموا والتحذير من الارتداد عن الإسلام والترخيص لمن أكره على الكفر في التقيةمن المكرهين، والأمر بأصول من الشريعة ؛ من تأصيل العدل والإحسان والمواساة والوفاء بالعهد وإبطال الفحشاء والمنكر والبغي ونقض العهود وما على ذلك من جزاء بالخير في الدنيا والآخرة وأدمج في ذلك ما فيها من العبر والدلائل والإمتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبات المنتمة والمحاسن وحسن المناظر ومعرفة الأوقات وعلامات السير في البر والبحر ومن ضرب الأمثال ومقابلة الأعمال بأضدادها والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان والإنذار بعواقب كفران النعمة (1) .

لما كان معظم أغراض هذه السورة زجر المشركين عن الإشراك وتوابعه وإنذارهم

بسوء عاقبة ذلك وكان قد تكرر وعيدهم من قبل في آيات كثيرة بيوم يكون الفارق بين الحق والباطل فتزول فيه شوكتهم وتذهب شدتهم . وكانوا قد استبطأوا ذلك اليوم حتى اطمأنوا أنه غير واقع فصاروا يهزأون بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فيستعجلون حلول ذلك اليوم (2) .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- تفسير التحـــــــرير والتنويـــــــــــر– 2323 و2324

2- المصـــــــــــدر نفســـــــــه – 2324

المبحــــــث الثــــــــانــــــــي :-

أجمع آية للخير والشر: نزولها ومكانتها وتفسيرها و وجه الإرتباط بما قبلها ومابعدها .

ويشتمل على مطلبين الآتيين :-

المطلـــب الأول:ــ

من حيث نزولـها ومكـانتها عنـد أهـل العـلم و التفسـير .

المطلـــب الثانـــي:ــ

تفســيرها و وجــه الإرتباط بمــا قبلــها و ما بعــدها .

المطلب الأول: من حيث نزولها ومكانتها عند أهل العلم و التفسير .

ما ورد في سبب نزول هذه الآية ومكانتهاعند أهل الحديث والتفسير ،" ما أخرج سعيد ابن منصور والبخاري في الأدب ، ومحمدبن نصر في الصلاة ،وابن جرير وابن ابي حاتم ،والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب ،عن ابن مسعود انه قال : أعظم آية في كتاب الله:((أللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم،البقرة 255)) وأجمع آية في كتاب الله للخير والشر،الآية التي في سورة النحل:(( إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ 90)) وأكثر آية في كتاب الله تفويضا:(( وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجَا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لاَيَحْتَسِبُ، الطلاق2،3)) وأشد آية في كتاب الله رجاءً:(( يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ لاَتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، الزمر53))(1) . "وروي عن عثمان بن مظعون أنه قال : لمانزلت هذه الآية قرأتها على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتعجب فقال : يا آل غالب اتبعوه تفلحوا فوالله إن الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق (2).وذكر عن شتير بن شكل قال : سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.....(3).

و اخرج البيهقي في الشعب عن الحسن انه قرأ يوما هذه الآية "إن الله يأمر بالعدل و الإحسان " إلى آخرها ثم وقف فقال : إن الله عز و جل جمع لكم الخير كله و الشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل و الإحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه و لا ترك الفحشاء و المنكروالبغي من معصية الله شيئا إلا جمعه(4)." واخرج الإمام أحمدعن عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته جالس إذمربه عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ينظر الأدب المفرد للبخاري - 171- رقم الحديث489- وأبن جرير الطبري في تفسيره : 7/634- والطبراني في المعجم الكبير: 9/132 - رقم الحديث 8658- والحاكم في المستدرك : 2/ 388- رقم الحديث 3358- وشعب الإيمان -2/ 458 –رفم الحديث2394- الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- 1410هـ1990م- تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/189- و: الدّر المنثــور-5/160 - 2- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/165ـ 3-ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7/634 – الطبعة الأولى- دار الأحياء التراث العربي- بيروت لبنان 1421هـ2001م- للإمام : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ( المتوفى 310هـ)- ضبط وتعليق : محمود شاكر 4- ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/189وشعب الإيمان – 1/161 –رقم الحديث 140

ألا تجلس ؟ فقال : بلى قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى إلى السماء ، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال : يامحمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة فقال : وما رأيتني فعلت ؟ قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك، قال : وفطنت لذلك ؟ فقال عثمان : نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس ، قال : رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " الاية، قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم (1) ." وأخرج البخاري في تاريخه من طريق الكلبي عن أبيه قال :مرّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوم يتحدثون فقال : فيم أنتم ؟ قالوا : نتذاكر المروءة فقال : أو ما كفاكم الله عز وجل ذلك في كتابه إذ يقول : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان" ، فالعدل والإنصاف والإحسان التفضل فما بقي بعد هذا ؟ (2)."وروى الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا، إذ شخص بصره فقال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الاية بهذا الموضع من هذه السورة " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " وقال أبن كثير وهذا إسناد لا بأس به (3). و في حديث إن أبا طالب لما قيل له : إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه " إن الله يأمر بالعـــدل والإحسان " قال اتبـــعوا ابن أخي فـــوالله إنه لا يأمــر إلا

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- تفسير القرآن العظيم – 2/584- ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل- 1/318- رقم الحديث2922-الطبعة الأولى- مؤسسة قرطبة – القاهرة- مصر- تأليف: الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني.ـ و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/219- و: التحرير والتنوير-2387 -

2- ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/189- و الدّر المنثــور-5/160-

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم–2/584-و مسند الإمام أحمد-4/218-رقم17947-و: الدّر المنثــور-5/159- و:التحرير والتنوير-2387-

بمحاسن الأخلاق (1). " و عن قتادة قوله " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ..." إنه ليس من خلق حسن كل أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيىء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها (2).

" وقال عكرمة : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة " إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ " إلى آخرها، فقال يا إبن أخي أعد ؟ فأعاد عليه، فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر (3).

وقد روى الحافظ أبو يعلى في كتاب معرفة الصحابة : بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يأيته فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه قال : فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أما من أنا؟ فأنا محمد بن عبد الله وأما ما أنا؟ فأنا عبد الله ورسوله " ثم تلا عليهم هذه الاية " إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ "قالوا : اردد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه ، فأتيا أكثم فقالا : أبى أن يرفع نسبه فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب وسطا في مضر ـ أي شريفا ـ وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن أكثم قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا أذنابا، وكونوا فيه أولا ولاتكوتوا فيه آخراً (4)."

وذكر عثمان بن مظعون أنه قال : ما أسلمت ابتداء إلا حياء من رسول الله صلى الله

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/165ـ ينظر : الدّر المنثــور-5/159 –

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7/634- ينظر : تفسير القرآن العظيم–2/583-

3- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/165ـ

4- تفسير القرآن العظيم–2/584- ينظر: الدّر المنثــور-5/159-و: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/189- و: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/219-.......

عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يابن أخي أعد ، فأعدت فقال والله إن له لحلاوة (1).

"وقال ابن مسعود:هذه أجمع آية في القرآن لخيريمتثل ولشر يجتنب،وحكى النقاش قال:يقال زكاة العدل الإحسان وزكاة القدرة العفو وزكاة الغنى المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل إلى إخوانه (2).

"وروى ابن ماجه عن علي قال : أمرالله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب فخرج فوقف على مجلس قوم من شيبان بن ثعلبة في الموسم فدعاهم إلى الإسلام وأن ينصروه فقال مفروق بن عمرو منهم : إلام تدعونا أخا قريش فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ "فقال: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك

وقد اهتدى الخليفة عمر بن عبد العزيز " رحمه الله " إلى ما جمعته هذه الآية من معاني الخير فلما استخلف سنة 99هـ ، كتب يأمر الخطباء بتلاوة هذه الآية في الخطبة يوم الجمعة(3) .

فهذه هي اسباب نزول هذه الآية الكريمة ومكانتها العظيمة التي تجمع في ظلها الإتيان بمكارم الأخلاق وفضائلها ، والإبتعاد كل البعد عن مساوي الأخلاق ومذامها.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/165ـ ينظر :تفسير النسفي – 2/286- 2- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/165ـ ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/189- و: روح المعاني في تفسي القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/219- و : تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية- بيروت ـ لبنان ـ 1419هـ1999 م - للقاضي أبي السعودمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ( المتوفي 982هـ )

3- تفسير التحـــــرير والتنــــــوير : 2387 .

المطلب الثاني:ـ تفسيرها و وجه الإرتباط بما قبلها و ما بعدها .

لقد جاء القرآن العظيم ليــنشيء أُمة وينظم مجتمعا ، ثم ليــنشيء عالما ويقيم نظاما. جاءت الدعوة العالمية إنسانية لاتعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس ، وأن العقيدة وحدها هي الآصرة والرابطة والقومية والعصبية (1). ومن ثم جيء بالمباديء التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، وإطمئنان الأفراد والأمم والشعوب، والثقة بالمعاملات والوفود والعهود.جاء "بالعدل" الذي يكفل لكل فرد و لكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهواء،ولا تتأثر بالودّ والبغض، ولا تتبدل مجالات للصهر والنسب، والغني والفقير ،والقوة والضعف وإنما تمضي في طريقها، تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع (2) .

فالعدالة نظام حيوي جدا في الدين ، وعدها بعضهم أحد الأسس الأربعة في الدين. و مفهوم العدل هذا هو الذي يرد في القرآن وسنة المطهرة تحت تعبير العبودية (3)" . كما روي عن ابن عباس أنه قال : " أن الله يأمر بالعدل" شهادة أن لا إله إلا الله (4) ." وهو إثبات الإله الواحد، فليس تعطيلا محضا ولا إثبات أكثر من إله ، وإثبات كونه عالما قادرا واجب الصفات، فليس نفياً للصفات، ولا إثبات صفة حادثة متغيرة (5)."وقد إختلف أهل العلم في تفسير العدل ، فقيل : "العــدل" لاإله إلا الله ، وقيل، "العدل" : الفرض ،وقيل، "العدل" :إستواء العلانية و السريرة ، وقيل "االعدل" : الإنصاف (6). فالله سبحانه ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- في ظلال القرآن لشهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله . ـ 4/2190 - الطبعة الشرعية الرابعة والعشرون ـ دار الشروق ـ بيروت ـ لبنان ـ 1415هـ1995م

2 –ينظر المصدر نفســــــــــه –4 / 2190.

3- ينظر: أضواء قرآنية في سماء الوجدان – 213 - الطبعة الأولى ـ دار النيل للطباعة والنشرـ اسطنبول ـ تُركيا ـ1423 هـ 2003 م ـ تأليف : محمد فتح الله كولن - ترجمة : أورغان محمد علي...........

4- ينظر: تفسير القرآن العظيم–2/583- و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/187

5- البحر المحيط في التفسير –6/587- طبعة جديدة – دار الفكر- بيروت – لبنان1412هـ1992م- تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ( 654-754هـ ).

6- ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/187،188- وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7 / 634-

وتعالى يأمر "بالعدل " وهو الإنصاف ،ومن الإنصاف الإقرار بما أنعم علينا بنعمته، والشكر له على أفضاله،و تولى الحمد أهله، وإذا كان ذلك هو العدل ، لم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها ، كان جهلا بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعم فتشكر،ولا تنفع فتعبد ، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحه لاشريك له، ولذلك قال من قال : العدل في هذا الموضوع "شهادة أن لا إله إلا الله "(1). يقول إبن كثير رحمه الله، في تفسيرهذه الآية :"يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان ، كقوله تعالى:(( وَإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلإنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ))(2)، وقوله:(( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ))(3)،وقوله أيضا:(( وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ))(4)، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل (5).فالعدل فعل كل مفروض من عقائد وشرائع ،ويسير مع الناس في أداء الأمانات ،وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق . وقال الزمخشري : "العدل" هو الواجب لأن الله عزوجل ،عدل فيه على عباده فجعل مافرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم(6). ويقول الشوكاني في تفسيره فتح القدير: "أن أولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي ، وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فمعنى أمره سبحانه بالعدل ،أن يكون عباده في الدين على حالة التوسط، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط، وهو الإخلال بالشيء مما هو من الدين(7).ومثله جاء في البحر المحيط، "فالعدل : التوسط بين الإفراط والتفريط، وذلك في العقائد وأعمال الرعاة(8). وقال سفيان بن عيينة "العدل في هذا الموضع: هو إستواء السريرة والعلانية من كل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7 / 634- 2- سورة النــحل – 126. 3- سورة الشورى – 40 4- سورة المــائــدة – 45 5- تفسير القرآن العظيم–2/583- 6-تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – 655- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان-1415هـ1995م- الإمام أبو القاسم جارالله محمود بن عمربن محمد الزمخشري 7- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/217- 8- ينظر: تفسير البحـر المحيط – 6/587

عامل لله عملا(1).وعن ابن عباس : "العدل" هو الحق، وذكرالماوردي أنه القضاء بالحق قال تعالى:(( وَإذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ))(2)، وقيل العدل في لسان العرب الإنصاف.وقيل هو خلع الأنداد، وقال الآخر:العدل في الأفغال والإحسان في الإقوال(3). وأحيانا العدالة مفهوم عام يرد اليه الكثير من الإشياء. فمثلا يمكن إرجاع جميع وجوه الخيرالمذكورة في هذه الآية من الإحسان وإيتاء ذي القربى إلى العدالة. علما بأن العدالة بمعنى العبودية إن لم تكن موجودة في الإنسان ومستقرة في المجتمع إستقرارا صحيحا، فلا يمكن توقع وجوه الخيرالأخرى لا في الإنسان ولا في المجتمع . فلاإحسان دون العدالة، ولايمكن إسداء الخير لذي القربى من دونها(4)،ولاسيما إن قرأنا التعريف المدهش للإحسان الوارد في الحديث النبوي الشريف:(( أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ))(5)."فالمسلم مأمور بالعدل في ذاته كما قال سبحانه وتعالى: (( وَلاَتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلَى التَّهْلُكَةِ ))(6)، ومأمور بالعدل في المعاملة، وهي معاملة مع خالقه بالإعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه، ومعاملة مع المخلوقات من أصول المعاشرة العائلية والمخالطة الإجتماعية وذلك في الأقوال والأفعال،كما قال عزوجل :(( وَإذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى))(7)، وقوله سبحانه: (( وَإذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ )) "(8).ومن هذا تفرعت شعب نظام المعملات الإجتماعية من آداب وحقوق وأقضية وشهادات ، ومعاملة مع الأُمم كما قال تعالى:(( وَلاَيَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئآنُ قَوْمٍ عَلَى أنْ لاَّ تَعْدِلُوا إعْدِلُوا هُوَأقْرَبُ لِلتَّقْوَى))(9)،ومرجع تفاصيل العدل إلى الأدلة الشرعية، فالعدل هنا كلمة مجملة جامدة، فهي بإجمالها مناسبة إلى أحوال المسلمين حين كانوا بمكة فيصار فيها ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- تفسير القرآن العظيم–2/583- 2- سورة النساء -58 3- تفسير البحـر المحيط – 6/586- ينظر : تفسير القرآن العظيم–2/583- 4- أضواء قرآنية في سماء الوجدان – 213 ـ 5- الجامع الصحيح المختصر- 1/27 – رقم الحديث50- الطبعة الثالثة - دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت- لبنان -1407هـ1987م- المؤلف:محمدبن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي- تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - و ينظر : صحيح مسلم – 1/36- رقم الحديث8- الطبعة الثانية - دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – تأليف : مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. 6- سورة البقــرة -195 7- سورة الأنعام – 152 8- سورة النساء – 58 9- سورة المائــدة -8

إلى ما هو مقرر بين الناس في أصول الشرائع وإلى ما رسمته الشريعة من البيان في مواضع الخفاء فحقوق المسلمين بعضهم على بعض من الأخوة والتناصح قد أصبحت من العدل بوضع الشريعة الإسلامية(1)."فالله يأمر أي فيما نزله عليك تبيانا لكل شيء وإيثار صيغة الإستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والإستمرار بالعدل، أي بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها، يندرج تحته فضيلة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة ، وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن(2) .

وقد إقتصر ابن عباس في تفسير العدل على ما رواه عنه البيهقي في الأسماء والصفات وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وضم إليه بعضهم القول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر، ومن الحكم العملية، التعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة وترك العمل لزعم أنه لا فائدة فيه إذ الشقي والسعيد متعينان في الأزل كما ذهب إليه بعض الملاحدة والترهب بترك المباحات تشبيها بالرهبان ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير(3)."يأمر سبحانه بالعدل وبالتسوية في الحقوق فيمابينكم وترك الظلم (4)."وعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: دعاني عمربن عبد العزيز فقال لي :صف لي العدل ، فقلت: بخ سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم إبنا وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين ولعل اختبار ذلك لأنه الأوفق بمقام السائل(5).

"وفي هذه الآية الكريمة إلى جوار العـــــدل " الإحســــان" يلطف من حدة العدل الصارم الجازم ، ويدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارا لودّ القلوب ، وشفاء لغل الصدور ولمن يريد أن ينهـض بما فوق العدل الواجب

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- تفسيــــــــر التحـــــرير والتنــــــــــوير – 2386 2- ينظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-5/136و روح المعاني في تفسي القرآن العظيم والسبع المثاني-14/217 3- نفســـــــــه – 14 / 217 4- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفير– 2/222.... 5- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/217

عليه ليـداوى جـرحا أو يكسـب فضـلا(1). "فالإحسان : الزيادة على الواجب من الطاعات بحسب الكمية والكيفية، والدواعي، والصوارف، والإستغراق،في شهود مقامات العبودية(2). "وقد ورد في الإحسان أقوال : قيل،"الإحسان" : أداء الفرائض، وقيل الإحسان: النافلة، وقيل الإحسان: أن تكون السريرة أفضل من العلانية، وقيل هو: التفضل(3).

"ومن الإحسان الشفقة على الخلق، وأصلها صلة الرحم(4). "وفي معناه اللغوي،الإحسان يرشد ألى أنه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع،ومن الإحسان، فعل مايثاب عليه العبد مما لم يصيه الله عليه في العبادة وغيرها. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر الإحسان"بأن يعبد الله العبد كأنه يراه(5). كما سبق في الصحيحن عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان قال :"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (6)." فالإحسان أن تكون عبدا لله كأنك تراه، ولكن هذا الشعور والتفكير والتصور يجب أن يكون مبنيّا على إيمان متين وراسخ، وإن يتعمق هذا الإيمان بالأسس الإسلامية لكي يستطيع شعور الإحسان إعطاء ما يؤمل وما ينتظر منه.فهو أوسع مدلولا، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته وعلاقاته الإجتماعية، وعلاقاته بالبشرية جميعا(7). "والإحسان فهو معاملة بالحسنى ممن لا يلزمه إلى من هو أهلها . والحسن : ما كان محبوبا عند المعامل به ولم يكن لازما لفاعله وأعلاه ما كان في جانب الله تعالى مما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سابق. ودون ذلك التقرب إلى الله بالنوافل . ثم الإحسان في المعاملة فيما زاد على العدل الواجب وهو يدخل في جميع الأقوال

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- في ظلال القرآن – 4/ 2190- 2- تفسير البحر المحيط -6 / 587 3- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- ينظر : زاد المسيرفي علم التفسير-4/483- و : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/165-و: تفسير القرآن العظيم–2/583- و: الدّر المنثور-5/160 - و: معالم التنزيل – 36- 4- تفسير البحر المحيط – 6/ 587

5- المصـــدر السابق نفسه - 3/188- ينظر: زاد المسيرفي علم التفسير-4/483-

6- رواه البخاري - 1/27–كتاب الإيمان- باب 36، رقم الحديث50- ومسلم - 1/36- كتاب الإيمان- باب 1- رقم الحديث8- 7- في ظلال القرآن – 4/ 2190-

والأفعال ومع سائر الأصناف إلا ما حرم الإحسان بحكم الشرع ، ومن أدنى مراتب

الإحسان ما في حديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له(1).

وفي الحديث (( إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة))(2).ومن الإحسان أن يجازي المحسن إليه المحسن على إحسانه إذ ليس الجزاء بواجب فإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول وفروع آداب المعاشرة كلها في العائلة والصحبة . والعفو عن الحقوق الواجبة من الإحسان(3)، لقوله تعالى:(( وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))(4)."والإحسان أي إحسان الأعمال والعبادة أي الإتيان بها على الوجه اللائق وهو إما بحسب الكيفية كما يشير إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم "أن تعبد الله كأنك تراه"أو بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل الجابرة لما في الواجبات من النقص وجوز أن يراد بالإحسان الإحسان المتعدي بإلى لا المتعدي بنفسه فإنه يقال : أحسنه وأحسن إليه أي الإحسان إلى الناس والتفضل عليهم(5). "وأعلى مراتب الإحسان على هذا الإحسان إلى المسيء وقد أمر به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: قال عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه البخاري – 2/833 - كتاب المساقاة، باب سقي الماء- رقم الحديث2234 – ومسلم -4/1761-كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم...- رقم الحديث2244- و أحمد- 2/375-رقم الحديث 8861- و ينظر :سنن أبي داود -2/28-كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم- رقم الحديث 2550- الطبعة الأولى – دار الفكر- بيروت – لبنان- تأليف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي- تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - 2- رواه المسلم- 3/1548- كتاب الصيد، باب11رقم الحديث1955- أبو داود-2/109-كتاب الضحايا، باب12رقم الحديث2815- وأحمد- 4/123-رقم الحديث17154- و ينظر : الجامع الصحيح سنن الترمذي – 4/23 –كتاب الديات،باب النهي عن المثلة- رقم الحديث1409- الطبعة الثانية- دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان- المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون- و : المجتبى من السنن- 7/227 –كتاب الضحايا،باب الأمربإحداد الشفرة- رقم الحديث4405- الطبعة الثانية- مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب- سوريا-1406هـ-1986م- المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي- تحقيق :عبدالفتاح أبو غدة- و: سنن ابن ماجه – 2/1058-كتاب الذبائح،باب3- رقم الحديث3170- الطبعة الأولى- دار الفكر – بيروت- لبنان- تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني- تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي...................................... 3- تفسير التحرير والتنـــــــــــويرـ 2386. 4- سورة آل عمران - 134 5- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/217- ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-5/ 136

وإبن عباس رضي الله تعالى عنهما بعدما فسر العدل بالتوحيد فسر الإحسان بإداء الفرائض ، وفيه اعتبار الإحسان متعديا بنفسه وقيل : العدل أن ينصف وينتصف والإحسان أن ينصف ولا ينتصف(1). "ومن الإحسان(( إيتَائ ذِي الْقُرْبَى))إنما يبرز الأمربه تعظيما لشأنه، وتوكيدا عليه، ومايبنى هذا على عصبية الأسرة، إنما يبنيه على مبدأ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام.وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل(2)."وإيتاءذي القربى"أي: إعطاء القرابة ماتدعوا إليه حاجتهم(3). "وقيل إعطاء ذي القربى الحق الذي أوجب الله عليك بسبب القرابةوالرحم(4).

"وهو صلة الرحم التي تندرج تحت الإحسان،لكنه نبـَّـه عليه إهتماما به وحثاً على الإحسان اليه(5)."وفي الآية إرشاد إلى صلة الأقارب وترغيب في التصدق عليهم، وهو من باب العطف الخاص على العام،إن كان إعطاء الأقارب قد دخل تحت العدل والإحسان. وقيل، من باب عطف المندوب على الواجب ، وإنما خص ذوي القربى لأن حقهم آكــد ، فإن الرحم قد إشتق الله إسمها من إسمه،وجعل صلتها من صلته،وقطيعتها من قطيعته (6). " أن إيتاء ذي القربى ، وبشكل أشمل عمل المعروف للناس جميعا ، يعنى إنشاءمبدأ الإحسان وفلسفته (7). " والظاهرأن المراد بذي القربى ما يعم سائر الأقارب سواء كانوا من جهة الأمِ أو من جهة الأب ، وهذا هوالمراد بذوي الأرحام الذين حث الشارع صلى الله عليه وسلم على صلتهم على الأصح ، وقيل : ذوو الأرحام الأقارب من جهة الأم ، وذكرالطبرسي أن المروي عن جعفر أن المراد من ذي القربي هنا قرابته صلى الله تعالى عليه وسلم المرادون في قوله سبحانه "فَأنّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى" (8). "وخص الله بالذكرمن جنس أنواع العدل والإحسان نوعا مهما يكثر

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/217،218. 2- في ظلال القرآن – 4/ 2190- 3- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- ينظر : تفسير القرآن العظيم–2/583. 4- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7 / 634- ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167- او:الدّر المنثور-5/160 5- تفسيــــر البحر المحيط- 6 / 586 - ينظر:زاد المسير في علم التفسير-4/483- و:تفشـــير الجلالين – 359. 6- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167- و:تفسير القرآن العظيم–2/583- و: روح المعاني في تفسي القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/218. 7- أضواء قرآنية في سماء الوجدان – 214. 8- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/218.

أن يغفل الناس عنه ويتهاونوا بحقه أو بفضله وهو إيتاء ذي القربى فقد تقرر في نفوس الناس الاعتناء باجتلاب الأبعد واتقاء شره كما تقرر في نفوسهم الغفلة عن القريب والاطمئنان من جانبه وتعود التساهل في حقوقه . فخص الله بالذكر من بين جنس العدل وجنس الإحسان إيتاء المال إلى ذي القربى تنبيها للمؤمنين يومئذ بأن القريب أحق بالإنصاف من غيره وأحق بالإحسان من غيره لأنه محل الغفلة ولأن مصلحته أجدى من مصلحة أنواع كثيرة وهذا راجع إلى تقويم نظام العائلة والقبيلة تهيئة بنفوس الناس إلى أحكام المواريث التي شرعت فيما بعد وعطف الخاص على العام اهتماما به(1).

(( وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغِي ))الفحشاء : كل أمر يفحش،أي: يتجاوز الحد. ومنه ما خص به غالبا وهو فاحشة الإعتداء على العرض، لأنه فعل فاحش فيه إعتداء فيه تجاوزللحد حتى ليدل على الفحشاء ويختص بها(2)."وهي الخصلة المتزايدة في القبح من القول والفعل(3)."وجاء في البحر،أنها : الزنا، أو ما شنعته ظاهرة من المعاصي ، وفاعلها أبدا مستتر بها، أو القبيح من فعل أو قول، أو البخل، أو موجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة، أو ماجاوزه حدود الله(4). "وقد نرى أن النهي الأول في هذه الآية الكريمة هو"الفحشاء"،فيكون السبب في هذا، أن الفحشاء هي بداية جميع المنكرات عند الإنسان كفرد وعند المجتمع ككل، لذا تم تقديمها. فكما يعلم الجميع ،أن أي مجتمع تسود فيه الفحشاء تبدأ جميع المنكرات الأخرى بالإنتشار فيه واحدة تلو الأخرى ، فينحرف هذا المجتمع إنحرافا كبيرا.لذا لايمكن التقليل من خطورتها في أي وقت من الأوقات(5). "فهي إسم جامع لكل عمل أو قول تستفظعها النفوس لفساده من الآثام التي تفسد نفس المرء، من إعتقاد باطل، أو عمل مفسد للخلق والتي تضر بإفراد الناس بحيث تلقي فيهم الفساد من قتل أوسرقة أوقذف أوغصب مال أوتضربحال المجتمع،وتدخل عليه الإضطراب

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- تفسير التحرير والتنوير -2386 2- في ظلال القرآن – 4/ 2191- 3- ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167.و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- 4- تفسير البحر المحيـــــط - 6 / 586 ينظر: زاد المسير في علم التفسير-4/483- و: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167. و:تفســـير الجلالين – 359ـ و: الدّر المنثور-5/160 - 5- أضواء قرآنية في سماء الوجدان – 214.

من حرابة أو زنا أو تقامر أو شرب الخمر. فدخل في الفحشاء كل ما يوجب إختلال المناسب الضروري وقد سماها الله الفواحش(1). " و"المنكر" هو: كل ماتنكره الفطرة ، ومن ثم تنكره الشريعة فهي شريعة الفطرة، وقد تنحرف الفطرة أحيانا فتبقى الشريعة ثابتة تشير إلى أصل الفطرة قبل إنحرافها(2)."فهو ما أنكرتهُ الشريعة بالنهي عنه ، وهو يعم جميع المعاصي على إختلاف أنواعها(3).

وقد وردت أقوال في تفسير المنكر،منها : " عن ابن عباس ومقاتل أنه: الشرك، و عن إبن أبي السائب هو:ما وعد عليه بالنار، وعن سفيان بن عيينة هو: مخالفة السريرة للعلانية ، أو ما لا يوجب الحد في الدنيا لكن العذاب في الآخرة، أو ما تنكره العقول، ويظهر أنه أعم من الفحشاء ، لإشتماله على المعاصي والرذائل(4)." فالمنكرهو إتيان ما حرمه الله تعالى وأقترافه بشكل علني، وهو يأتي بمعنى العصيان على منظومة الحقائق الكونية والتمرد عليها، وهو شيء مردود في كل دين وفي كل أمـــة وفي كل ملة(5).

"وقال الزمخشري : ما تنكره العقول ، و قيل: إنه لفتة إلى الإعتزال ولو قال : المنكرما أنكره الشرع لوافق الحق لكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقبيح بالعقل وقال في الكشاف أيضاً بعد قوله ما تنكره العقول أي بعد رده إلى قوانين الشرع. وقيل أن المنكر أعم من الفحشاء لإشتماله على المعاصي والرذائل وعلى أولا الأمر كذلك(6). "وشمل المنكر كل ما يفضي إلى الإخلال بالمناسبة الحاجي ، وكذلك ما يعطل المناسب التحسين بدون ما يفضي منه إلى ضر(7). "والبغي" فقيل هو: الكبر، والظلم، والحقد، والتعدي . وحقيقته تجاوز الحد، فيشمل هذه المذكورة ويندرج بجميع أقسامه تحت المنكر وإنما خص بالذكر اهتماما به

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- تفسير التحرير والتنوير -2387- 2- في ظلال القرآن – 4/ 2191- ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي-2/268- و: معالم التنزيل -36. 3- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167. 4- تفسير البحر المحيط – 6 / 586 .ينظر: زاد المسير في علم التفسير-4/483- و: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167. و:تفســـير الجلالين – 359ـ و: الدّر المنثور-5/160 - و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-5/ 136 5- أضواء قرآنية في سماء الوجدان – 214. 6- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/218. ينظر: تفسير الكشاف – 1/ 665 7- تفسير التحرير والتنوير -2386-

لشدة ضرره و وبال عاقبته و هو من الذنوب التي تراجع على فاعلها (1).

وقال سيد قطب رحمه الله هو: الظلم وتجاوز الحق والعدل(2). "وتظهر هذه الخصلة السيئة في الحياة الفردية وفي الحياة الإجتماعية أيضا، في أشكال و صور المختلفة من ظلم الإنسان لنفسه إلى عصيان الوالدين، وإلى رفع راية العصيان ضد الدولة الإخلال بطمأنينة المجتمع،إلى إنكارالله تعالى والجحود به(3)." ويقول ابن كثير رحمه الله :البغي هو العدوان على الناس(4).وقد جاء في الحديث الشريف " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيامع ما يدخرله في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم(5). "والبغي الأستعلاء والإستيلاء على الناس والتجبر عليهم، وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين الشهوية والغضبية، وليس في البشر شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادرعنه بوساطة هذه القوى الثلاث(6). فثلاثة أمورالمنهي عنها في هذه الآية ،كل واحدة منها منشأها قوة في نفس الإنسانية الشريرة، "فالفحشاء ما نشأ من قوة الشيطانية الخارجة عن أدب الشريعة، والمنكر مانشأ من قوة الغضبية، والبغي ما نشأ من قوة الوهمية(7). " وخص الله بالذكر نوعا من الفحشاء والمنكر وهو البغي،إهتماما بالنهي عنه وسدا لذريعة وقوعه لأن النفوس تنساق إليه بدافع الغضب وتغفل عما يشمله من النهي من عموم الفحشاء بسبب فشوه بين الناس ؛ وذلك أن العرب كانوا أهل بأس وشجاعة وإباء فكانوا يكثر فيهم البغي على الغير إذا لقي المعجب بنفسه من أحد شيئا يكرهه أو معاملة يعدها هضمية وتقصيرا في تعظيمه.وبذلك كان يختلط على مريد البغي حسن الذب عما يسميه

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188-ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7 / 634- و:الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/167 و : تفسير القرآن العظيم–2/583- و:تفشـــير الجلالين – 359 2- في ظلال القرآن – 4/ 2191- 3- أضواء قرآنية في سماء الوجدان – 214. 4- تفسير القران العظيم – 2 / 583 - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/ 218 5- رواه أبو داود-2/693 –كتاب الأدب،باب في النهي عن البغي - رقم الحديث4902- والترمذي – 4/664-كتاب صفة القيامة،باب57- رقم الحديث2511- وأحمد -5/38- رقم الحديث20414- وحاكم -2/388-كتاب التفسير،باب تفسيرسورة النحل- رقم الحديث3359. 6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-5/ 136- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/218.

7- تفسير البحر المحيط -6 / 587 - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/218.

الشرف وقبح مجاوزة حد الجزاء(1)." فالبغي هوالاعتداء في المعاملة إما بدون مقابلة ذنب كالغارة التي كانت وسيلة كسب في الجاهلية وإما بمجاوزة الحد في مقابلة الذنب كالإفراط في المؤاخذة ولذا قال تعالى:((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ))(2).وقال:(( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ))(3). فهذه الآية جمعت أصول الشريعة في الأمر بثلاثة والنهي عن ثلاثة بل في الأمر بشيئين وتكملة والنهي عن شيئين وتكملة(4)." والفطرة البشرية تنتفض بعد مدة معينة ضد هذه العوامل الهدامة، مهما تبلغ قوتها،ومهما يستخدم الطغاة من الوسائل لحمايتها، وتأريخ البشرية كله إنتفاضات وإنتفاضات ضد الفحشاء والمنكر والبغي. فلا يهم أن تقوم عهود وان تقوم الدول عليها حينا من الدهر، فالإنتفاضة عليها دليل على أنها عناصر غريبة على جسم الحياة، فهي تنتفض لطردها كما ينتفض الحيّ ضد أي جسم غريب يدخل اليه.وأمرالله بالعدل والإحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغي،يوافق الفطرة السليمة الصحيحة، ويقويها ويدفعها للمقاومة باسم الله. لذلك يجيء التعقيب"يعظكم لعلكم تذكرون" فهي عظة للتذكر،تذكروا في الفطرة الأصيل القويم(5). "ويفسر بما يكون قد قوبل في الآية الأمر بالنهي وكل من المأموربه بكل من المنهي عنه،وجمع بين الأمر والنهي مع أن الأمر بالشيء نهي عن ضده والنهي عن الشيء أمر بضده لمزيد الإهتمام والإعتناء(6). "فقد تحدث الإمام الرازي في هذا المقام وذكر أن ظاهر الآية يقتضي المغايرة بين الثلاثة المأمور بها ويقتضي أيضا المغايرة بين الثلاثة المنهي عنها، وشرع في بيان المغايرة بين الأول ثم قال : والحاصل أن العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات والإحسان عبارة عن الزيادة في الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية وبحسب الدواعي والصوارف وبحسب الإستغراق في شهود مقام العبودية والربوبية ويدخل في تفسيره التعظيم لأمر الله تعالى والشفقةعلى خلقه سبحانه ومن الظاهر أن الشفقة على الخلق أقسام كثيرة أشرفها وأجلها صلة لا

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- تفسير التحرير والتنوير -2387- 2- ســورة البقرة -194 3- ســورة الحج -60 4- تفسير التحرير والتنوير -2387- 5- في ظلال القرآن – 4/ 2191- 6- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/219

القول في ذلك أنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعة وهي الشهوانية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الأخيرة لا يحتاج الإنسان إلى تهذيبها لأنها من جوهر الملائكة عليهم السلام ونتائج الأرواح القدسية العلوية وإنما المحتاج إلى التهذيب الثلاثة قبلها ولما كانت الأولى:أعني القوى الشهوانية إنما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية وكان هذا النوع مخصوصا باسم الفحش ألا ترى أنه تعالى سمى الزنا فاحشة أشار إلى تهذيبها بقوله سبحانه :(( وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ)) المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة ، ولما كانت الثانية:أعني القوة الغضبية السبعية تسعى أبدا في إيصال الشر والبلاء والإيذاء إلى سائر الناس أشار سبحانه إلى تهذيبها بنهيه تعالى عن "المنكر" إذ لا شك أن الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية، ولما كانت الثالثة:أعني القوةالوهمية الشيطانية تسعى أبدا في الإستعلاءعلى الناس والترفع وإظهار الرياسة والتقدم أشار سبحانه إلى تهذيبها بالنهي عن "البغي" إذ لا معنى له إلا التطاول والترفع على الناس. ثم قال : ومن العجائب في هذا الباب أن العقلاء قالوا : أخس هذه القوى الثلاث الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية والله تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ سبحانه بذكرالفحشاءالتي هي نتيجة القوة الشهوانية ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية ثم بالبغي الذي هي نتيجة القوة الوهمية. وما تقدم عن غير واحد مأخوذ من هذا ولينظر هل يثبت بما قرره دليل التخصيص فيندفع الإعتراض السابق أم لا ثم إن الظاهر عليه أن عطف البغي على ما قبله كعطف إيتاء ذي القربى على ما قبله(1).

" والخلاصة أن هذه الآية الكــــريمة،هي أجمع آية في القرآن الكريم للخيــر والشـر،وهي من الآيات التي تــدل على وجوب الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكـــر(2). وأماوجه الإرتباط بما قبلها مع آية (( وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كَلِّ أُمَّـةٍشَهِيداً عَلَيْهِمْ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/219 – نقلا عن تفسير الرازي . 2- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- 3/188- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ 7 / 634- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -10/ 167- و : تفسير القرآن العظيم–2/583- و:تفشـــير الجلالين – 359

مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (1). و وجه الإرتباط لما بعدها مع آية:(( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاَ إنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ))(2). فروي عن عثمان إبن أبي العاص قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا، إذ شخص بصره فقال:" أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع(( إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ....)) وهذا يقتضي أن هذه الآية لم تنزل متصلة بالآيات التي قبلها فكان وضعها في هذا الموضع صالحا لأن يكون بيانا لآية " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء... "، ولأن تكون مقدمة لما بعدها (( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذَا عَاهَدْتُمْ.......))(3). " وقال غير واحد : لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى ولعل إيرادها عقيب قوله تعالى:"ونزلنا عليك الكتاب " للتنبيه عليه فإنها إذا نظر إلى أنها قد جمعت ما جمعت مع وجازتها استيقظت عيون البصائر وتحركت للنظر فيما عداها (4). لما جاء أن هذا القرآن(( تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ )) حسن التخلص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلامي العائدة إلى الأمر والنهي إذ الشريعة كلها أمر ونهي والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب . فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبيانا لكل شيء فهي جامعة أصول التشريع وافتتاح الجملة بحرف التوكيد للاهتمام بشأن ما حوته . وتصديرها باسم الجلالة للتشريف وذكر "يأمر " و"ينهى " دون أن يقال : اعدلوا واجتنبوا الفحشاء للتشويق(5)..................................

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- ســـــورة النحــــل - 89

2- ســـــورة النحــــل – 91

3- تفســـــير التحـــــرير والتنـــــوير – 2387

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- 14/220

5- تفســـــير التحـــــرير والتنـــــوير – 2385

المبحــث الثـالــث :ــ

مــن أهم ما تدل عليه هذه الآية الكريمة (( وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)).

ويشتمل على المطالب الآتية :ـ

المطلب الأول:ــ

ما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟وما أهميته في المجتمع ؟

المطلب الثاني :ــ

دليــل وجــوب الأمــر بالمعــروف والنهــي عـن المـــنكر, وهـل هما من فروض الكفايات أم الأعيان ؟

المطلب الثالث :ــ

شروط الآمر والناهي ومراتب تغيير المنكروإنكاره في المجتمعات المختلفة.

المطلب الرابع :ــ

في الإنكارعلى السلطان ورأي المعتزلة في هذا المجال وآرائهم في العقيدة .

المطلب الأول:

ما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟وماأهميته في المجتمع ؟

"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،هوكل ما أمربه شرعاوكل مانهى عنه شرعا(1). "وهو الذى أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين. فان رسالة الله اما إخبار وإما انشاء فالاخبار عن نفسه وعن خلقه مثل التوحيد والقصص الذى يندرج فيه الوعد والوعيد، والانشاء والأمر والنهى والاباحة و هذا كما ذكر فى أن(( قُلْ هُوَ اللهُ أحَد)) تعدل ثلث القرآن لتضمنها ثلث التوحيد، اذ هو قصص وتو حيد وأمر، وقوله سبحانه فى صفة نبينا ((يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ))(2) ، هو بيان لكمال رسالته فانه هو الذى امر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث ولهذا روى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (( إنما بعثت لأتمم محاسن الاخلاق))(3)، فبه صلى الله عليه وسلم أكمل الله الدين المتضمن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث(4). " والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: التوحيد والشرك، والتصديق والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم، أي: الأمر بالمعروف يعني التوحيد، والنهي عن المنكر يعني الشرك، كما في قوله تعالى في سورة" التوبة" (( الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ)) يعني التوحيد، (( وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ)) يعني الشرك بالله تعالى، وقال: الأمر بالمعروف إتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، والنهي عن المنكر يعني التكذيب، كقوله سبحانه لمؤمني أهل التوراة (( لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ.... َيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ..))(5). ومثلها قوله تعالى:(( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1/125 - الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ 1417هـ 1997م ـ الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي تعليق : أبومعاذ أيمن عارف الدمشقي 2- سورة الأعراف – جزء من الآية 157 3- رواه البيهقي في الشعب – 6/230- رقم الحديث7978- وأحمد -2/381- رقم الحديث 8939- 4-مجموع الفتاوى – 28/121- الطبعة الأولى- مطبعة العبيكان- الرياض- السعودية- 1419هـ 1998م - لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس- وينظر:كتاب الإستقامة- 2/199،200- الطبعة الأولى – جامعة الإمام محمدبن سعود- المدينة المنورة- 1403هـ1983م- تأليف : الإمام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – تحيق : د.محمد رشادسالم ...... 5- ســورة آل عمران -113 و 114

عَنِ الْمُنكَرِ))(1)، اي: إيمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم(2). "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هو قطب الأعظم في الدين، و هو المهمة التي إبتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأُهمل علمه وعمله لتعطلت النبوّة وإضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالةواستشرى الفساد وإتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون(3). " فالمعروف هو إسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة،أي:أمرمعروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف النصف وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس . والمنكر ضدذلك جميعه، وفي الحديث : ((أهل المعروف في الدنياهم أهل المعروف في الأخرة))(4). أي: من بذل معروفه للناس في الدنيا ، آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة . وقيل من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لاتبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة.وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ما معناه ؟ قال :يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جامعة فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس في الدنيا والإخرة(5). والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبدأ هام في حياة جماعة المسلمة ، وهو الذي أخرج المسلم من مرحلة العصا بيد الحاكم إلى مرحلة الإنسان الحامل للفكرة الذي لديه مقاييس يستطيع على أساسه أن يقبل أو يرفض(6). وأن من وسائل الدعوة إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال إشراف الدولة ، لأن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من سياسة الدولة

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- ســورة التوبة – 71 . 2- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ـ 38 - الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ 1397هـ 1977م ـ للفقيه المفسر الجامع الحسين محمد الدامغاني ـ حققه ورتبه وأكمله واصلحه : عبدالعزيز سيدالأهل... 3- صحيح وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ـ 2/436- المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ مصر ـ تأليف: سعد يوسف أبوعزيز 4-رواه البخاري في الأدب المفرد – 1/86- رقم الحيث 221- والحاكم – 1/213- رقم الحديث 429. 5- غذاء الألباب في شرح منظومة الأداب ـ 180ـ مطبعة النجاح ـ قاهرة ـ مصر1324هـ1904م - تأليــف : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي . 6- أصول المعارضة السياسية في الإسلام ـ 45 - الطبعة الإولى ـ دار النمير للنشر والتوزيع ـ دمشق ـ سوريا ـ 1417 هـ 1997 م – تأليف : عبود عبد الإله العسكري

الإسلامية الحاكمة بما أنزل الله .فهي ليست مجرد جهد شخصي من المتطوعين أصحاب النوايا الطيبة ، وليست أصواتا تعلو فوق المنابر تخاطب البناء التحتي للمجتمع الذي لايملك حولا ولا قوة حيال منكرات ومفاسد مدخولة على حياة الناس..لا، ليس الأمر كذلك،ولكن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن من أركان خطة الدولة في إقامة الدين الذي تستمد الدولة شرعيتها منه.

فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، هي الأرضية التي تنطلق منها السياسات الإعلامية والتثقيفية والتعليمية والإجتماعية والمالية ، وشتى النواحي التي ينعكس أثرها على الدين سلبا أو إيجابا، فبهذا تكون الدولة مقيمة لشعائر الإسلام، الظاهرة التي بها تعرف دار الإسلام(1)."هكذا نجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرقضية إجتماعية، لأن لهذا المبدأ وظيفة تطهيرية مباشرة،تمنع من تراكم الأخطاء، وزيادة الإنحرافات التي تحدث عند تطبيق المباديء النظرية، وممارستها عمليا، وفي غياب هذا المبدأ عن الساحة السياسية سنجد فرقا شاسعا، إن لم يكفِ مغايرا تماما بين تطبيقاتها ،وهومايسمى بالنقد،والنقد الذاتي لأنه كمشرط الجراح الذي يزيل أسباب المرض الذي يصيب الجسم(2). ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في فتوى من فتاواه التي نشرت بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: إن من أهم الواجبات الإسلامية التي يترتب عليها صلاح المجتمع وسلامته ونجاته في الدنيا والآخرة،هوالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذلك هو سفينة النجاة ،كما ثبت في صحيح البخاري، عن النعمان بن بشيررضي الله عنه ،قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادواهلكواجميعاوإن أخذواعلى أيديهم نجوا ونجواجميعا ))(3).ولد آدم ـــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم ـ 481- الطبعة الرابعة ـ دارالمعرفةـ بيروت ـ لبنان ـ 1427هـ 2007م- تـــأليف : الدكتورعلي محمدالصلابي . 2- أصول المعارضة السياسية في الإسلام ـ 46،47 3- رواه البخاري – 2/882 –كتاب الشركة ، باب6- رقم الحديث2361- وأحمد -4/269- رقم الحديث 18395

ورسول رب العالمين وأعلم الخلق بأحوال المجتمع وأسباب صلاحه وفساده، تجده واضح الدلالة على عظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه سبيل النجاة و طريق صلاح المجتمع ويتضح من ذلك أيضا أنه واجب على المسلمين وفرض عليهم القيام به؛ لأنه هو الوسيلة إلى سلامتهم من أسباب الهلاك وقدأكثرالله سبحانه في كتابه الكريم من ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي خير الأمم بسبب صفاتها الحميدة التي من أهمها قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(1)، كما قال عزوجل: (( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ))(2)." وتأمل أيها المسلم الذي يهمه دينه وصلاح مجتمعه كيف بدأ الله سبحانه في هذه الآية بذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الإيمان ، مع كون الإيمان شرطا لصحة جميع العبادات يتبين لك عظم شأن هذا الواجب ، وأنه سبحانه إنما قدم ذكره لما يترتب عليه من الصلاح العام(3). "ولا بد لنا، أن نتصور حجم الفوضى الخراب والفساد الذي يعم المجتمع عندما يغيب فيه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم أن أمــة الإسلام عندما تتخلى عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فهي تلقائيا تفقد خاصية الخيرية التي خصها الله بها من بين الأمم، بل تفقد الغاية والمبرر من وجودها، فهي خصت بالخيرية والفضل على سائر الأمم لقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقيامها بدور الحارس الأمين الذي يحرس المجتمعات من التسوس والتلف والخراب والهلاك . ويقودها إلى دار النجاة والصحة والعافية. وهي متى تفقد هذه الخاصية، وهذا الدور الذي شرفها الله به، فهي لزاما تتخلى عن خاصية الخيرية ، وعن دورها الريادي على باقي الأمم والشعوب التي هي الأخرى قد فقدت هذا المبدأ العظيم منذ زمن بعيد، وأصبحت تعيش كالبهائم والدواب محكومة تحت ضغط الأهواء والغرائز

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز – نشرت بمجلة جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العدد الرابع –السنة الأولى – ربيع الأول سنة1389هـ 2- سورة آل عمران – جزء من الآية 110 3- من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز – نشرت بمجلة جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العدد الرابع –السنة الأولى – ربيع الأول سنة1389هـ

والشهوات، لا تستطيع الفكاك منها ومن أسرها. فقدوا خاصية القوامة والخيرية منذ أن عبدوا و رضوا لإنفسهم أن يتخذوا بعضهم بعضا أربابا من دون الله(1).إن إصلاح الجماعات والشعوب لا يجيء جزافا ولا يتحقق عفوا . وأن الأمم لاتنهض من كبوة ، ولا تقوى من ضعف...ولا ترتقي من هبوط ،إلا بعد تربية أصيلة حقة، بعد تغيير نفسي عميق الجذور، يحول الجمود فيها إلى حركة والغفوة إلى صحوة ، والركود إلى يقظة ، والفتور إلى عزيمة ، والعقم إلى إنتاج ، والموت إلى حياة ، تغيير في عالم النفس أشبه ما يكون ( بثورة أو إنقلاب ) في عالم المادة، تغيير يحول الوجه والأخلاق ، والميول والعادات، تغيير نفسي لابد أن يصاحب كل حركة أو نهضة أو ثورة سياسية أو إجتماعية. ومن غيره تكون النهضة أو الثورة حبرا على الورق أو كلاما أجوف يتبدد في الهواء(2). سُنَّة قائمة من سنن الله تعالى في الكون، قررها القرآن الكريم في عبارة وجيزة بليغة ((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ))(3). وأن الرجوع إلى الإيمان بالله والآخرةهوالأمل الوحيد في خلاص الأنسان مما يعانيه اليوم من مشكلات تهدد الإنسان بالدمار،دمار خصائصه الذاتية ،ومقوماته المعنوية التي كان بها إنسانا وأستحق بها السيادة في الكون والخلافة في الأرض(4). إذن أن الأمة لا تكون خيرأمة أخرجت للناس إلا بالأمربالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وبإقامة هذه الشريعة تتوطد دعائم المجتمع الإسلامي على أسس الحق والخير، وبه تقمع دعاوى المناوئين والمشاغبين على نهج الإسلام(5). وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إجتمع نفرمن أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يارسول الله صلى الله عليه وسلم، أرأيت إن عملنا بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف شيء إلاعملناه ، وانتهينا عن المنكر حتى لم يبقَ شيئا من المنكر إلا إنتهينا عنه،أيسعنا أن لا نأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر ؟ قال : (( مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية ـ 334- الطبعة الثانية ـالمركز الدولي للدراسات الإسلامية ـ لندن ـ بريطانيا ـ 1420 هـ 2000 م أبو بصير عبد المنعم مصطفى حليمة ـ 2- الإيمان والحياة ـ 264 - الطبعة الأولى ـ النهضة للطباعة والنشر ـ طهران ـ إيران ـ1411هـ1991م- تأليف : الدكتور يوسف القرضاوي 3- ســورة الرعــد – جزء من الآية 11 4- الإيمان والحياة ـ 269 - 5- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم ـ 482

وإن لم تنتهواعنه كله))(1).،فأجرى النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجرى سائر الفروض، في لزوم القيام به مع التقصير في بعض الواجبات(2).

وكل شبرعلى وجه الأرض فلا بد له من أمرونهي ،ولابد أن يأمر وينهي حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها اما بمعروف واما بمنكر، كما قال تعالى:(( إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ))(3)،فان الأمرهوطلب الفعل وإرادته والنهى طلب الترك وإرادته، ولا بد لكل حي من إرادة وطلب فى نفسه يقتضى بهما فعل نفسه ويقتضى بهما فعل غيره اذا أمكن ذلك، فان الانسان حي يتحرك بإرادته وبنوا آدم لا يعيشون إلا بإجتماع بعضهم مع بعض واذا اجمتع اثنان فصاعدا فلابد أن يكون بينهما ائتمار بأمر وتناه عن أمر ولهذا كان أقل الجماعة فى الصلاة اثنين كما قيل الاثنان فما فوقهما جماعة لكن لما كان ذلك اشتراكا فى مجرد الصلاة حصل باثنين أحدهما إماموالآخر مأموم كما قال النبى لمالك بن الحويرث وصاحبه : (( اذا حضرت الصلاة فاذنا وأقيما وليؤمكما اكبركما ))(4)، وكانا متقاربين فى القراءة .

وأما الأمورالعادية ففى السنن انه قال ((لا يحل لثلاثة يكونون بارض فلات الا أمروا عليهم أحدهم ))(5)، وإذا كان الأمر والنهى من لوازم وجود بنى آدم فمن لم يأمر بالمعروف الذى أمر الله به ورسوله وينه عن المنكر الذى نهى الله عنه ورسوله والا فلا بد أن يأمر وينهى. ويؤمر وينهى اما بما يضاد ذلك واما بما يشترك فيه الحق الذى أنزل الله بالباطل الذى لم ينزله الله واذا اتخذ ذلك دينا كان دينا مبتدعا ضالا باطلا(6). أن الجهد الأصيل ، والتضحيات النبيل يجب أن تتجه أولا إلى إقامة

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه البيهقي في شعب الإيمان – 6 / 89 – رقم الحديث 7570 . 2- أحكام القرآن – 2/ 320- البعة الأولى - دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – 1405هـ 1985م - أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص -تحقيق : محمد الصادق قمحاوي . 3- سورة يوسف - 53 4- رواه البخاري -1/234-كتاب الجماعة، باب : إثنان فما فوقهما جماعة- رقم الحديث627- ومسلم-1/465-كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة- رقم الحديث674- واللفظ لمسلم 5- رواه أحمد – 2/176 – رقم الحديث 6647.. صحيح لغيره على تعليق شعيب الأرناؤط. 6- مجموع الفناوى -28/168،169- و: ينظر: كتاب الإستقامة – 2/ 293،294

مجتمع الخير، ومجتمع الخير هو الذي يقوم على منهج الله، قبل أن ينصرف الجهد والبذل والتضحية إلى إصلاحات جزئية،شخصية وفردية،عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأنه لا جدوى من المحاولات الجزئية حين يفسد المجتمع كله، و حين تطفى الجاهلية، وحين يقوم المجتمع على غير منهج الله ، وحين يتخذ له شريعة غير شريعة الله . فينبغي عند ئذ أن تبدأ المحاولة من الأساس ، وأن تنبت من الجذور وأن يكون الجهد والجهاد بتقرير سلطان الله في الأرض ، وحين يستقر هذا السلطان يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيئا يرتكن إلى أساس (1).

هذا من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أوردنا شيئا قليلا حوله ، لأن الأمر والنهي امر عظيم لابد أن يتوسع فيه ، لأنه أساس العقيدة ، وبه جاءت الرسل وأنزلت الكتب من الخالق الباري سبحانه ، لكي يأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك له، في كل أنواع العبادات من الصلاة و الدعاء والخوف والرجاء والإستعانة والإستغاثة والذبح والنذر وغيره من العبادات القلبية والقولية والفعلية, وينهى عن الأمور التي نهى الله سبحانه عنها من المعاصي والفواحش والمنكرات بكل أنواعها ، ومن أبرزها النهي عن الشرك بالله سبحانه في الأقوال والأفعال، والنهي عن الأمور ألتي تتسبب في سخط الرب عزوجل.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- في ظلال القرآن ـ 2/ 949 - ـ الطبعة الشرعية الرابعة والعشرون ـ دار الشروق ـ بيروت

ـ لبنان ـ1415هـ1995م للشهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله

المطلب الثاني :ــ

دليل وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وهل هومن فروض الكفايات أم الأعيان؟

أولا: في القـــــرآن الكـــــــــــــــريم :ـ

تغيير المنكر واجب عظيم في الإسلام وفي جميع الأديان السماوية ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره حسب الإستطاعة واجب مهم في الإسلام ، والذين يقصرون في ذلك قد عرضوا أنفسهم وعرضوا مجتمعهم للعقوبة والهلاك، فإن الله سبحانه إنما أهلك الأمم السابقة بسبب تركها لتغيير المنكر(1).

"فقدأمرالله سبحانه وتعالى في كتابه العزيزبهذا الواجب العظيم وأمر بقيامه في مواضع منها، قوله تعالى : (( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ )) (2) ." أخبر سبحانه عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم ، يعني خير الناس للناس،والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس(3)."وقال النحاس : والتقدير على هذا، كنتم للناس خير أمة، وعلى قول مجاهد: كنتم خير أمة إذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وقيل : إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم، خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى (4)." فبين الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحسانا إليهم ، لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد(5). " وروي عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأهذه الآية:(( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ )) ثم قال: يــأيها الناس

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان ـ شبكة العنكبوتية ـ إعداد : موقع روح الإسلام

2- سورة آل عمران – 110

3- تفسير القرآن العظيم ـ 1/392

4- الجامع لأحكام القرآن – 4/166- ينظر: مجموع الفتاوى- 28/123- و : الإستقامة- 2/ 203

5- مجموع الفتاوى- 28/123- ينظر : الإستقامة- 2/ 203

من سرّه أن يكون من تلكم الأمة فليؤدِ شرط الله منها. وعن مجاهد يقول: على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله، وعن إبن عباس:تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، ويقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر(1). "وإنما أخر الإيمان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة كما هو الظاهر لأن الإيمان مشترك بين جميع الأمم دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما أظهر في الدلالة على الخبرية ويجوز أن يقال قدمهما عليه للإهتمام وكون سوق الكلام لأجلهما وأما ذكره فكالتتيم ويجوز أيضا أن يكون ذلك للتنبيه على أن جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين أظهر مما أشتمل عليه الإيمان بالله تعالى لأنه من وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولو قيل قدما وأخر للإهتمام(2)."لقد ربط الله سبحانه بين خيرية الأمة، وقيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(3)."وأن الأمة لا تكون خير أمة أخرجت للناس إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عنوان خيرية هذه الأمة ، حتى أن الأية قدمتهما في الذكرقبل الإيمان ، لأن الإيمان والدين لا يحافظان في حياة المسلمين دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(4)."وفي هذه الآية الكريمة دلالة على صحة إجماع الأمة من وجوه عدَّة :أحدها:كنتم خيرأمة، لا يستحقون من الله صفة المدح إلا وهم من قائمون بحق الله تعالى غير الضالين، والثاني: إخباره بأنهم يأمرون بالمعروف فيما أمروا به فهو أمر الله تعالى، لأن المعروف هو أمر الله، والثالث: أنهم ينكرون المنكر ، والمنكر هو ما نهى الله عنه، ولا يستحقون هذه الصفة إلا وهم لله رضى، فثبت بذلك أن ما أنكرته الأمة فهو منكر، وما أمرت به فهو معروف، وهو حكم الله تعالى، وفي ذلك ما يمنع وقوع إجماعهم على ضلال ويجب

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1-ينظر: معاني القرآن الكريم –الطبعة الأولى - جامعة أم القرى - مكة المرمة- السعودية- 1409هـ1989م- للنحاس- تحقيق : محمد علي الصابوني.والدُّر المنثور-2/294،295- و روح المعاني في تفسير الفرآن العظيم والسبع المثاني- 4/28 2- روح المعاني في تفسير الفرآن العظيم والسبع المثاني- 4/28 3- أصول المعارضة السياسية في الإسلام ـ 46،45 4- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم ـ 482

عن ما يحصل عليه إجماعهم هو حكم الله تعالى(1) .و يقول سبحانه في سورة آل عمران قبل هذه الآية الكريمة، في وجوب هذا الركن العظيم: (( وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ))(2). "قد حوت هذه الأية معنيين: أحدهما : وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر أنه فرض على الكفاية ليست بفرض على كل أحد في نفسه، إذا قام به غيره ، لقوله تعالى" ولتكن منكم أمة "وحقيقته تقتضي البعض دون البعض،فدل على أنه فرض على الكفاية، إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين(3)."وقيل(( مِن )) في قوله " منكم" لبيان الجنس: والمعنى لتكون كلكم كذلك، وقيل (( مِن)) للتبعيض : ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء، ويقول القرطبي في تفسيره : القول الثاني أصح لأنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وقد عينهم الله تعالى بقوله : (( الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ))(4) ، وليس كل الناس مكنوا في الأرض(5)." وقال الضحاك:هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن . وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسب إستطاعه(6)."ويقول البيضاوي: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ، لأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها، خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية، أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة يدعون كقوله تعالى في الآية السابقة " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف"والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي وعطف الأمربالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- أحكام القرآن للجصاص – 2/ 322 2- ســورة آل عمران – 104- 3- أحكام القرآن للجصاص – 2/ 315 4- ســـورة الحج – 41 5- الجامع لأحكام القرآن – 4/162 6- تفسير القرآن العظيم ـ 1/391 – ينظر: الدُّر المنثور- 4/289

للإيذان بفضله(1)." وانها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين، ولو أخل بها الكل أثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل : (( وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ))(2) ، ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها التى لايتولاها إلا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لايعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التمادى والإصرار(3). وأشار النسفي في تفسيره إن الذين يأمرون بالمعروف، بما استحسنه الشرع والعقل، وينهون عن المنكر، عما استقبحه الشرع والعقل، أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء إلى الخير عام فى التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف علي خاص(4).

ويقول إبن العربي: وفي هذه الآية والتي بعدها ، وهي قوله " كنتم خير أمة أخرجت للناس...." دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نصرة الدين بإقامة الحجة على المخالفين، وقد يكون فرض عين إذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر والإستقلال بالجدال، أوعرف ذلك منه(5). والمقصود : ولتكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر حتى تكونوا أمة هذه صفتها وهذا هو الأظهر فيكون جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خوطبوا بأن يكونوا دعاة إلى الخير ولا جرم فهم الذين تلقوا الشريعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهم أولى الناس بتبليغها ، وأعلم بمشاهدها وأحوالها ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة " ليبلغ الشاهد الغائب،الا هل بلغت؟(6).وإلى هذا المحمل مال الزجاج وغير واحد من المفسرين كما قاله ابن عطية:ويجوز أيضا على اعتبار الضميرخطابا لأصحاب محمدصلى الله عليه وسلم

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل- 74- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- 1424هـ2003م- للقاضي ناصرالدين أبي سعيد عبدالله بن عمربن محمد الشيرازي البيضاوي- ( المتوفى 791هـ) 2- ســـــورة التوبة - 122 3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – 2/67 4- تفســــير النســفي – 1/170 5- أحــكام القرآن لإبن عربي-1/383-طبعة-جديدة- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-لأبي بكرمحمدبن عبدالله المعروف بإبن العربي 6- رواه البخاري-4/1599- رقم4144. ومسلم-3/1305- رقم1679.ومن غيرها .وهذا جزء من حديث طويل

أن تكون( مِنْ ) للتبعيض والمراد من الأمة الجماعة والفريق أي : وليكن بعضكم فريقا يدعون إلى الخير فيكون الوجوب على جماعة من الصحابة فقد قال ابن عطية : قال الضحاك والطبري : أمر المؤمنين أن تكون منهم جماعة بهذه الصفة . فهم خاصة أصحاب الرسول وهم خاصة الرواة وأقول : على هذا يثبت حكم الوجوب على كل جيل بعدهم بطريق القياس لئلا يتعطل الهدى . ومن الناس من لا يستطيع الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: (( فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ )) (1)، وإن كان الخطاب بالضمير لجميع المؤمنين تبعا لكون المخاطب بيا أيها الذين آمنوا إياهم، أيضا كانت ( مِنْ ) للتبعيض لا محالة وكان المراد بالأمة الطائفة إذ لا يكون المؤمنون كلهم مأمورين بالدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل يكون الواجب على الكفاية وإلى هذا المعنى ذهب ابن عطية والطبري ومن تبعهم. وعلى هذا فيكون المأمور جماعة غير معينة وإنما المقصود حصول هذا الفعل الذي فرض على الأمة وقوعه(2). وفيها أيضا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يقوم به المسلم، وإن لم يكن عدلا، خلافا للمبتدعة الذين يشترطون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العدالة(3). ومساواة معنى الآيتين غير متعينة لجواز ان يكون المراد من خير أمة هذه الأمة التي قامت بالأمر بالمعروف، والآية أوجبت أن تقوم طائفة من المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاشك أن الأمر والنهي من أقسام القول والكلام فالمكلف به هو بيان المعروف والأمر به وبيان المنكر والنهي عنه وأما امتثال المأمورين والمنهيين لذلك فموكول إليهم أو إلى ولاة الأمور الذين يحملونهم على فعل ما أمروا به وأما ما وقع في الحديث : (( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فأن لم يستطيع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه )) (4) ، فذلك مرتبة التغيير والتغيير يكون باليد

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- ســـــورة التوبة – 122 2- تفســــــــير التحرير والتنوير – 800 ، ينظر : تفسير الطبري - 3 / 385 . 3- أحــكام القرآن لإبن العربي- 1 / 383 4- رواه مسلم -1/69-كتاب الإيمان ، باب20- رقم الحديث 49- وأبوداود -1/366-كتاب الصلاة ، باب خطبة يوم العيد- رقم الحديث1140

ويكون بالقلب أي تمني التغيير وأما الأمر والنهي فلا يكونان بهما والمعروف والمنكر إن كانا ضروريين كان لكل مسلم أن يأمر وينهي فيهما وان كانا نظريين فأنما يقوم بالأمر والنهي فيهما أهل العلم(1).وقد إختلف العلماء في تفسير هذه الآية في: أن (من) في قوله "منكم" للتبعيض ، ومنهم من يقول للتبين وأيدوا ذلك بأن الله تعالى أثبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل الأمة(2) ، في قوله :(( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ))(3).

وقيل : هو فرض على كل واحد في نفسه ويجعل مخرج الكلام مخرج الخصوص في قوله " ولتكن منكم أمة" مجازاً، كقوله تعالى "يغفرلكم من ذنوبكم"ومعناه ذنوبكم،والذي يدل على صحة هذا القول أنه إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين، كالجهاد وغسل الموتى وتكفينهم والصلاة عليهم ودفنهم، ولولا أنه فرض على الكفاية لما سقط عن الآخرين بقيام بعضهم به(4). ومنشأ الخلاف في ذلك أن العلماء إتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولم يخالف في ذلك الا النزر ومنهم الشيخ أبوجعفرمن الإمامية قالوا: أنها من فروض الأعيان(5). وأختلفوا في أن الواجب على الكفاية أهو واجب على جميع المكلفين ويسقط عنهم بفعل بعضهم أو هو واجب على البعض، ذهب الإمام الرازي وأتباعه إلى الثاني للإكتفاء بحصوله من البعض ولو وجب على الكل لم يكتف بفعل البعض إذ يستبعد سقوط الواجب على المكلف بفعل غيره وذهب الجمهور إلى الأول وهو ظاهر نص الإمام الشافعي في الأم وأستدلوا على ذلك بأثم الجميع بتركه ولو لم يكن واجباً عليهم كلهم لما أثموا بالترك وأجاب الأولون عن هذا بأن إثمهم بالترك لتفويتهم ما قصد حصوله من جهتهم في الجملة لا للوجوب عليهم وأعترض عليه من طرف الجمهور بأن هذا هو الحقيق بالإستبعاد أعني إثم طائفة بترك أخرى فعلا كلفت به والجواب عنه بأنه ليس الإسقاط عن غيرهم بفعلهم أولى من تأثيم غيرهم بتركهم. يقال فيه : بل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- تفســــــــير التحرير والتنوير – 801 2- روح المعاني في تفسير الفرآن العظيم والسبع المثاني- 4/22 3- ســورة آل عمران – 110 4- أحــكام القرآن للجصاص -2/315 – ينظر : زاد الميسر في علم التفسير – 1/434 5- روح المعاني في تفسير الفرآن العظيم والسبع المثاني- 4/21

هو أولى لأنه قد ثبت نظيره شرعا من إسقاط ما على زيد بأداء عمرو ولم يثبت تأثيم إنسان بترك آخر(1) ."وجاء في كتاب الآداب أنه فرض كفاية على من لم يعين عليه وسواء في ذلك الإمام والحاكم،والعالم والجاهل، والعادل والفاسق، وقال قوم : لا يجوز لفاسق الإنكار، وقال الآخرون: لا يجوز الإنكار إلا لمن أذن له ولي الأمر، وقال ابن الجوزي كما ورد في الآداب :الكافر ممنوع من إنكار المنكر(2).ولهذا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان في بلد مسلم؛ فإن الأمور منضبطة ولله الحمد؛ بأن يقوم الإنسان بالمناصحة والتّذكير والموعظة الحسنة، وإذا احتاج الأمر إلى تبليغ السُّلطة من أجل الأخذ على يد العاصي؛ فإنه يرجع إلى السُّلطة ويبلِّغُها، وإذا لم يحتج إلى الرَّفع إلى السُّلطة؛ فإن المطلوب السَّترُ على أصحاب المعاصي إذا رأى منهم تجاوُبًا نحو الإنكار وقبولاً للدعوة وتركًا لما هم عليه من الخطأ؛ فهؤلاء يستُرُ عليهم ويكتفي بأن يغيِّروا هم من أنفسهم من الفساد إلى الصّلاح ما أمكن، وإذا وجد أن هذا العاصي لا يستجيب ولا يقبل النصيحة؛ يرفع الأمر لوليّ الأمر، فإذا بلغ هذا إلى ولي أمر المسلمين؛ برئت ذمَّةُ النَّاصح؛ لأنه أنهى الأمر إلى مُنتهاهُ، أما إذا كانوا في غير مجتمع مسلم؛ فعليهم الدَّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ودرءُ الفتنة الكبيرة التي قد تعود على المسلمين بالضّرر؛ فلا يكون هناك عنفٌ، ولا يكون هناك مجابهةٌ تؤدِّي لأن تُقابل بأشدَّ منها،هو نشر للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمناصحة لمن يقبل ذلك، ومن لا يقبل؛ فإن أمره إلى الله سبحانه وتعالى(3).

وقد إهتم الخالق سبحانه، بهذا الموضوع، أشد الإهتمام حينما حكى عن لقمان بقوله:(( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ))(4).و أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله (( وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ )) يعني: بالتوحيد،(( وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ )) يعني عن الشرك، (( وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ )) في أمرهما يقول : اذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- روح المعاني في تفسير الفرآن العظيم والسبع المثاني- 4/21،22 2- الآداب الشرعية والمنح المرعية ـ 1/129 - الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ 1417هـ 1997م الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ـ ( المتوفى 763هـ ) ـ تعليق : أبومعاذ أيمن عارف الدمشقي 3- المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان – إعداد : شبكة العنكبوتية – موقع روح الإسلام 4- ســــــــــورة لقمـــان – 17

أذى وشدة فاصبر عليه ان ذلك يعني هذا الصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (( مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ )) يعني من حق الأمور التي أمر الله تعالى به(1)."فلقد وصى لقمان ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرهاوألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عز وجل(2). "وإذاأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فإنها تورث المنح ، إن ذلك الذى وصيتك به من عزم الأمور أى مما عممه الله من الأمور،أى:قطعه قطع إيجاب وإلزام أى أمربه أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمورأى مقطوعاتها(3)."وأما الذي مكنهم الله في الإرض،فقد أناط بهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى الناتج عن أداء هذه الوظيفة الإحتماعية الهامة(4) ،" كما بين سبحانه: ((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور))(5)."وقال القرطبي عن الضحاك: هو شرط، شرطه الله عز وجل على من آتاه الملك وهذا حسن وعن سهل بن عبد الله : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على السلطان وعلى العلماء الذين يأتونه وليس على الناس أن يأمروا السلطان لأن ذلك لازم له واجب عليه ولا يأمروا العلماء فإن الحجة قد وجبت عليهم(6).

"ويقول شيخ الإسلام رحمه الله : ولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا هو مقصود الولاية فاذا كان الوالى يمكن من المنكر بمال يأخذه كان قد أتى بضد المقصود مثل من نصبته ليعينك على عدوك فأعان عدوك عليك وبمنزلة من أخذ مالا ليجاهد به فى سبيل الله فقاتل به المسلمين يوضح ذلك ان صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأن صلاح المعاش والعبادفى طاعة الله ورسوله ولايتم ذلك الا بالأمربالمعروف والنهى عن المنكروبه صارت

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الدّر المنثور – 6/523- ينظر : الجامع لأحكام القرآن -14/ 63

2- الجامع لأحكام القرآن -14/ 63

3- تفســــــير النســـفي – 3/283

4- أصول المعارضة السياسية في الإسلام – 46

5- سورة الحج – 41 6- الجامع لأحكام القرآن -14/ 63

هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس(1)، و واضح من كلامه رحمه الله، أن واجب الولاة إقامة هذه الشعيرة وتمكين الناس من أدائها، لا منعهم منها(2). وإن من واجبات الدولة المسلمة العمل على إحياء هذه الشعبة وإعداد من يقوم عليها فقها، وخلقا، وتفرغا ، و إحتسابا لوجه الله تعالى . بل أن الدولة تقوم بإنشاء هيئة خاصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لها مؤسساتها ونظمها وقوانينها ولوائحها . تقوم هذه الهيئة بإلزام الناس بمنهج الإسلام في الحياة ، وتقف الحكومة من وراء هذه الهيئة وتدعمها ، ويدخل

تحت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة الحدود ، وجلب المصالح ، وإحياء الأخلاق الكريمة ، فإقامة حدود الله وفق تطبيق أمثل وأحكام عادلة ، أمن للأمة وإستقرار للمجتمع، وثبات للدين، وقوة للدولة ، ورضى لرب العباد. ومما يدل على أن الدين يضيع إذا لم يأتمر الناس بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ما حدث لبني إسرائيل ، إذ كان إهمالهم لتلك الفريضة، بداية النهاية لفقدهم التفضيل على السنة الرسل(3)، كما قال تعالى: (( لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ))(4).

يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله وإعتدائهم على خلقه(5). وكانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ،عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر يفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل أنهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله: (( لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ )) وفيه دليل على أن ترك النهى عن المنكر من العظائم(6). "وفي هذه الآية زجرشديد لمن يترك الأمر بالمعروف

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- مجموع الفتاوى – 28/ 360 - الطبعة الأولى- مطبعة العبيكان- الرياض – السعودية- 1419هـ 1998م- لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس-

2- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم- 481

3- المصــــدر نفســــه – 482

4- ســــورة المــــائدة – 78و79

5- تفســــــــــير القرآن العظيم – 2/83

6- تفســــــــير النســـــفي – 1/ 296 – ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 6/212

والنهي عن المنكر(1)،"وإرشاد من الله سبحانه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن سبب لعن كفار بني إسرائيل وذمهم هو عصيانهم واعتداؤهم ، وأن من ذلك عدم تناهيهم عن المنكر فيما بينهم لتحذر هذه الأمة سبيلهم الوخيم ويبتعدوا عن هذا الخلق الذميم،ويتضح من ذلك أن هذه الأمة متى تخلقت بأخلاق كفار بني إسرائيل المذمومة استحقت ما استحقه أولئك من الذم واللعن، لأنه لا صلة بين العباد وبين ربهم إلا صلة العبادة والطاعة ، فمن استقام على عبادة الله وحده وامتثال أوامره وترك نواهيه استحق من الله الكرامة فضلا منه وإحسانا وفازبالثناء الحسن والعاقبة الحميدة، ومن حاد عن سبيل الحق استحق الذم واللعن وباء بالخيبة والخسران(2). فهذه الخصلة العظيمة هي التي وصف الله به المؤمنين بقوله:(( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِوَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))(3).

"فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية (4). "فالننظركيف بدأ في هذه الآية بذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الصلاة والزكاة ، وما ذاك إلا لما تقدم بيانه من عظم شأنه وعموم منفعته وتأثيره في المجتمع ، وتدل الآية أيضا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أخلاق المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الواجبة التي لا يجوز لهم التخلي عنها أو التساهل بها(5). وفي المقابل ذم الله سبحانه وتعالى المنافقين والمنافقات، لفقدهم وإهمالهم لهذا الواجب، وإتيانه بغيرطريقة ما أمرالله به، بقوله:(( الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 6/213

2- من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - نشرت بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العدد الرابع السنة الأولى ربيع الأول سنة 1389 هـ. 3- ســـــورة التـــوبة – 71

4- إحياء علوم الدين ـ 2/307 – الطبعة الأولى ـ دار االمعرفة – بيروت ـ لبنان- تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد

5- من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - نشرت بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العدد الرابع السنة الأولى ربيع الأول سنة 1389 هـ.

الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ))(1). فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه ثم إن الأمر بالمعروف لا يليق بكل أحد وإنما يقوم به السلطان إذ كانت إقامة الحدود إليه والتعزير إلى رأيه والحبس والإطلاق له والنفي والتغريب فينصب في كل بلدة رجلا صالحا قويا عالما امينا ويأمره بذلك ويمضي الحدود على وجهها من غير زيادة(2).واذا كان هو من اعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لابد ان تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة اذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب" والله لا يحب الفساد" بل كل ما أمر الله به فهو صلاح وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين (( وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ )) وذم المفسدين فى غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمروالنهى أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به وان كان قد ترك واجب و فعل محرم إذ المؤمن عليه أن يتقى الله فى عباده وليس عليه هداهم(3).وهذا معنى قوله تعالى:(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ))(4).

والإهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضرة ضلال الضال(5). "خطاب لجميع المؤمنين أي عليكم أهل دينكم كقوله تعالى: (( وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ))(6).فكأنه قال:ليأمر بعضكم بعضا ولينه بعضكم بعضا، فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وهذا لأن الأمر بالمعروف يجري مع المسلمين من أهل العصيان ،وروي معنى هذا عن سعيد بن جبير وقال سعيد بن المسيب : معنى الآية: ((لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ )) بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(7). وصدِّيق هذه الأمة و أفضلها بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه،عندما خطب لجمع من الصحابة وقال :

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- ســـــورة التـــوبة – 67 2- الجامع لأحكام القرآن -4/50

3- مجموع الفتاوى – 28/126 - ينظر : الإستقامة – 2/211 4- ســــورة المـــائدة –جزء من الآية 105 5- مجموع الفتاوى -28/127 - ينظر : الإستقامة – 2/212 6- سورة النساء –جزء من الآية 29 7- الجامع لأحكام القرآن – 6/ 321

أنكم تقرؤن هذه الآية و تتأولونها على غير تأويلها:(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...إلخ )) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك إن يعمهم الله بعذاب من عنده))(1).

وقيل هذه الآية منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: آخر الناسخ منها قوله " إذا اهتديتم " والهدى هنا هوالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله أعلم. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متى رجى القبول أو رجى رد الظالم ، إما الظالم ولو بعنف مالم يخف الآمرضررا يلقه في خاصته أو فتنة يدخلها على المسلمين إما بشق عصا وإما بضرر يلحق طائفة من الناس فإذا خيف هذا فـ "عليكم أنفسكم " محكم واجب أن يوقف عنده ولا يشترط في الناهي أن يكون عدلا كما تقدم وعلى هذا جماعة أهل العلم(2). وقد وعد الله سبحانه وتعالى الذين يقتلون النبيين بغيرحق ويقتلون الذين يأمرون بالعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بعذابه الأليم في الدنيا والآخرة ، كما يقول سبحانه : (( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَـئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ))(3).

وروى أبو عبيدة بن الجراح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية، ودلت على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة (4). ومن المسائل التي

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه أبو داود-2/525-كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم الحديث4338- وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح . ورواه الترمذي – 4/467- كتاب الفتن، باب نزول العذاب اذا لم يغير المنكر- رقم الحديث2168- و إبن ماجة- 2/1327- كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- رقمالحديث 4005 – و أحمد- 1/9- رقم الحديث53- وينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - 1/540- كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-رقم الحديث305 - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – 1414هـ1993م- المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق : شعيب الأرنؤوط 2- الجامع لأحكام القرآن – 6/ 321 3- ســـورة البقرة – 21،22 4- الجامع لأحكام القرآن - 4/50

دلت عليها هذه الآية الكريمة كما يقول القرطبي في تفسيره : ليس من شروط الناهي أن يكون عدلا عند أهل السنة خلافا للمبتدعة حيث تقول : لا يغيره إلا عدل وهذا ساقط فإن العدالة محصورة في القليل من الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام

في جميع الناس أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك(1).

أنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد، وكل هذا متعب شاق، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته، ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة.ولابد من الإيمان بالله ليوضع الميزان الصحيح للقيم ، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر، فإن إصطلاح الجماعة وحده لا يكتفي، فقد يعم الفساد حتى تضطرب الموازين تختل. ولابد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير والشر، و للفضيلة والرذيلة، وللمعروف والمنكر ، يستند إلى قاعدة أخرى غير إصطلاح الناس في جيل من الأجيال(2).

ثانيــــا : في السنــــــة المطهـــرة و الآثار :ـ

جاء في السنة المطهرة والآثار أحاديث كثيرة، حول وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته، و مذمة إهماله وإضاعته ، كما روي عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (( والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله عزوجل أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ))(3).وعن جريرقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا ))(4). وعن أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الجامع لأحكام القرآن -4/50،51 2- في ظلال القرآن – 1/447

3- رواه الترمذي -4/468- كتاب الفتن،باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- رقم الحديث2169- وأحمد- 5/388- رقم الحديث 23349- قال الشيخ الألباني: حديث حسن . 4- رواه أبو داود – 2/526- كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي - رقم الحديث4339- وأحمد- 4/363- رقم 19236. قال الشيخ الألباني: حديث حسن .

وسلم،عن هذه الآية:(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...إلخ )) فقال : (( بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا، و هوى متعبا و دنيا مؤثرة وأعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر، فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم )) قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجر خمسين رجلا منا أومنهم؟ قال :(( لا ، بل أجر خمسين منكم))(1). وعن إبن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ))(2).وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (( ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن نكر سلم ولكن من رضي وتابع )) قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال (( لا ما صلوا))(3)." ومعناه : من كره بقلبه ولم يستطع إنكارا بيد ولا لسان ، فقد بريء من الإثم وأدى وضيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بفعلهم وتابعهم فهو العاصي(4).وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (( لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض " ولعنهم على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون )) قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال ((لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا)) ، وزاد في رواية أيضا (( أو ليضربن الله بقلوب بعضكم

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه الترمذي – 5/257-كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة- رقم الحديث 3058- و أبوداود – 2/526- كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي - رقم الحديث4341ـ وابن ماجة – 2/1320-كتاب الفتن،باب 21- رقم الحديث4014. وابن حبان – 2/108- كتاب البر والإحسان ،باب ما جاء في الطاعة وثوابها- رقم 385 . قال الألباني: بعضه صحيح 2- رواه مسلم – 1/ 69 – كتاب الإيمان ، باب 20 - رقم الحديث 50 3- رواه مسلم – 3/1480-كتاب الإمارة باب16- رقم الحديث 1854 4- رياض الصالحين -51 – طبعة جديدة – دار الفكر- بيروت – لبنان- 1421هـ2001م- تأليف : الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ( المتوفى 670هـ )

على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم ))(1). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( إياكم والجلوس في الطرقات )) فقالوا: ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال (( فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها )) قالوا وما حق الطريق ؟ قال :(( غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ))(2). وعنه أيضا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) (3). "يدل هذا الحديث على وجوب إنكار المنكر بحسب الإمكان والقدرة عليه، وأن الإنكار بالقلب لابد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الإيمان من قلبه وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد بأيدكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس، فجعل أعلاه أسفله. وسمع إبن مسعود رضي الله عنه رجلا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال إبن مسعود : " هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر". يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لايسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد ، فإنما يجب بحسب الطاقة (4). "وأخرج الإمام أحمد رحمه الله: أنه سُئِلَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خير الناس قال : (( آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله تعالى وأوصلهم للرحم )) (5). وروى الحسن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه الترمذي- 5/252-كتاب التفسير، باب تفسير سوة المائدة - رقم 3047- وأبو داود-2/524- كتاب الملاحم باب الأمروالنهي- رقم 4336-و ابن ماجة- 2/1327- كتاب الفتن،باب 20- رقم 4006 .قال أبو عيسى حديث حسن غريب 2- رواه البخاري – 2/870- كتاب المظالم، باب 23- رقم الحديث 2333- ومسلم 3/1675- كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات - رقم الحديث 2121 3- رواه مسلم – 1/69- كتاب الإيمان، باب20- رقم الحديث 49- و أبو داود- 1/366- كتاب الصلاة ، باب خطبة يوم العيد - رقم الحديث 1140- و إبن ماجة- 2/1330- كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف...- رقم الحديث 4013- و ينظر: المجتبى من السنن – 8/11- كتاب الإيمان وشرائعه ، باب تفاضل أهل الإيمان - رقم الحديث5008- الطبعة الثانية- مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – سوريا- 1406هـ1986م- المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة 4- غذاء الألباب شرح منظومة الأداب – 194 5- رواه أحمد – 6/432 –رقم الحديث 27474- تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف

الله تعالى وخليفة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وخليفة كتابه ،وروى لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكرأوليسلطن الله تعالى عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنتصرون(1).

"والأمر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يأمر به والنهي عن المنكر واجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع حرام والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر(2). وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة(3) .

وعنه صلى الله عليه وسلم (( والذى نفس محمد صلى الله عليه و سلم بيده ليخرجن من أمتى أناس من قبورهم فى صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصى وكفواعن نهيهم وهم يستطيعون))(4)."ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه كذا أخبرنا الصادق المصدوق. وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و جاء في الخبر ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعلوا إلا أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده(5). "مثل رجال السنة رضي الله عنهم وحال المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها مثل قوم في سفينة صار بعضهم في أسفلها فأتوه فقالوا ما لك فقال لا بد لي من الماء فإن أخذوا عليه ومنعوه أنجوه ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم(6).كما يقول النبيّ المصطفى صلى الله عليه وسلم : (( مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 4/22- ينظر : تفسير النسفي – 1/177 2- تفسير البيضاوي – 74 3- رواه أحمد – 4 / 192 – رقم الحديث 17756 – حسن لغيره على تعليق شعيب الأرناؤوط 4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 6 / 213 5- البرهان المؤيد – 102، 103 - الطبعة الأولى- بيروت- لبنان - 1408هـ1998م- تأليف : أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني - تحقيق : عبد الغني نكه مي 6- المصـــــدر نفســـــه – 103

إستقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا))(1). "أجل ومن شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك فيه والمستمع شريك المغتاب وتجري في هذه جميع المعاصي المنبه عليها شرعا ألا إن من خالط الناس كثرت معاصيه وأن كان تقيا في نفسه إلا أن يترك المداهنة ولا تأخذه في الله لومة لائم ويشتغل بالحسبة والمنع(2). "و جاء في الآثار أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين الفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم، فقال : يا رب ، هؤلاء الاشرار فما بال الأخيار؟ قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم . وقيل إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا اعلنت ولم تغير اضرت بالعامة(3) .

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:((سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله))(4). "وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك من قومك قال حسنة، قال كعب:أن التوراة لتقول غيرذلك،قال: وما تقول؟ قال: تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم (5) .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل ألا تأمر وتنهى فقال إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا وقيل للثوري ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه البخاري – 2/882 - كتاب الشركة ، باب 6 -- رقم الحديث 2361

2- البرهان المؤيد – 103 3- أحياء علوم الدين – 2 / 311

4- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - 3 / 158 – رقم الحديث 3483 - الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1417هـ1997م – تأليف : أبو محمد عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري – تحقيق : إبراهيم شمس الدين . رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد.... 5- أحياء علوم الدين – 2 / 311

لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به(1)." وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا محتسبا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك ، فأمر بأن يدل عليه فلما صار بين يديه قال له : إنني بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك ، وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به، فقال له المحتسب : ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت ، فلم يفهم المأمون مراده فقال : ماذا تقول ؟ حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال إما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع ، فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال : لم تأمر بالمعروف وقدجعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم:(( الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ))(2). فقال : صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكرذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال الله تعالى:(( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ))(3) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ))(4)،وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنةرسوله فإن انقدت لهماشكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإن الذي إليه أمرك وبيده عزك وذلك قدشرط أنه لا يضيع اجرمن أحسن عملا فقل الآن ما شئت فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك(5).

فقد ظهرت بهذه الأدلة في القرآن والسنة والآثار، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرواجب، وأن فرضه لايسقط مع القدرة إلا بالقيام به.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- أحياء علوم الدين – 2 / 312،311 2- سورة الحج – 41 3- سورة التوبة – 71 4- رواه البخاري – 2/ 863 –كتاب المظالم ، باب نصرة المظلوم ، رقم الحديث 2314- ومسلم – 4 / 1999 –كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين ، رقم الحديث 2585

5- أحياء علوم الدين – 2 / 317

المطلب الثالث :ـ

شروط الآمروالناهي ،ومراتب تغييرالمنكروإنكاره في المجتمعات المختلفة .

" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكروتغييره حسب الإستطاعة واجب مهم في الإسلام والذين يقصرون في ذلك قد عرضوا أنفسهم وعرضوا مجتمعهم للعقوبة والهلاك ، فإن الله سبحانه ، إنما أهلك الأمم السابقة بسبب تركها لتغيير المنكر(1)، كما يقول عزوجل : (( فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ))(2). فالكل واجب عليه بحسب موقعه بذل الجهد المستطاع لنصرة هذا الدين (3)، كما في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم ، عن إبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ))(4). وللأمربالمعروف والنهي عن المنكر شروط مبينة في الفقه والآداب عندالفقهاء والعلماء ، لابد أن نذكرها وننبه عليها لكي ندركها حتى نقوم بما هو أفضل في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونبتعد من المماسات الخاطئة التي يواجه البعض في إحياء هذا الركن العظيم في المجتمع .

" كما وجاء في التحرير يشترط في إنكار المنكر ألا يجر النهي إلى منكر أعظم.وهذا شرط قد خرم مزية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأتخذه المسلمون ذريعة لترك هذا الواجب . ولقد ساء فهمهم فيه إذ مراد مشترطه أن يتحقق الأمر أن أمره يجر إلى منكر أعظم لا أن يخاف أن يتوهم،إذ الوجوب قطعي لا يعارضه إلا ظن أقوى(5). ولما

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان – شبكة العنكبوتية : إعداد : موقع روح الإسلام

2- ســــورة الأعـــراف – 165 3- حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية - 157 4- رواه مسلم – 1/69- كتاب الإيمان، باب20- رقم الحديث 49- و أبو داود- 1/366- كتاب الصلاة ، باب خطبة يوم العيد - رقم الحديث 1140- و إبن ماجة- 2/1330- كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف...- رقم الحديث 4013- و النسائي 8/11- كتاب الإيمان وشرائعه ، باب تفاضل أهل الإيمان - رقم الحديث5008- 5- ينظر: تفســــــير التحريــــر والتنـــــوير – 801

كان تعيين الكفاءة للقيام بهذا الفرض في الأمربالمعروف والنهي عن المنكرلتوقفه على مراتب العلم بالمعروف والمنكر ومراتب القدرة على التغيير وإفهام الناس ذلك رأى أئمة المسلمين تعيين ولاة للبحث عن المناكر وتعيين كيفية القيام بتغييرها وسموا تلك الولاية بالحسبة(1).

"و قد ذكر الإمام الغزالي في الإحياء،أركانا في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكرأربعة: المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب،ولكل واحد منها شروط ،ومن هنا نذكرأهم شروط المحتسب،وهي: أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافروالعاجزويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين و يدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة . فالشروط الأول للمحتسب هو: التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غيرالمكلف لايلزمه أمر، والثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له، والثالث:هو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله(2). مثل قوله تعالى: (( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ))(3) وقوله تعالى: (( كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ))(4). وقد ردَّ بعض الفقهاء على هذا الشرط ،بأنه ليس من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يكون فاعله عدلا، بل الإمام والحاكم والعالم و الجاهل، والعادل والفاسق في ذلك سواء ، كما جاء في آداب الكبرى، خلافا لقوم إعتبرو في الآمر والناهي العدالة(5). وقال قوم لا يجوز لفاسق الإنكار، وقال آخرون لايجوز الإنكار إلا لمن أذن له ولي الأمر، وقال إبن الجوزي: الكافر ممنوع من إنكار المنكر لما فيه من السلطة والعزة(6) . نعم ينبغي ان لا يخالف قوله فعله ، بل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- تفســــــير التحريــــر والتنـــــوير – 801 2- أحياء علوم الدين – 2 / 312 3- ســـــورة البقرة - 44 4- ســـورة الصــف - 3 5-غذاء الألباب شرح منظومة الآداب – 184- ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 129 6- ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 129 – و : غذاء الألباب شرح منظومة الآداب – 184

يأمر بالمعروف ويأتمر به وينهى عن المنكر وينزجر عنه (1)."وقيل للحسن البصري، أن فلانا لا يعظ ويقول أخاف أن أقول ما لا أفعل ، فقال الحسن: وأين يفعل ما يقول،ودّ الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحدا بالمعروف ولم ينه عن المنكر. والحاصل أنه يجب على كل مؤمن مع الشروط المتقدمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو فاسقا أو بغير إذن ولي الأمر،حتى على جلساته وشركائه في المعصية على نفسه فينكر عليها لأن الناس مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(2)."و الرابع: أن يكون مأذونا من جهة الأمام والوالي ، فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة،وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والاخبار التي اوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى، إذ يجب نهيه أينما رآه و كيفما رآه، على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له ، والعجب أن الروافض زادواعلى هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم.

وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب : أولها التعريف، والثاني: الوعظ بالكلام اللطيف، والثالث: السب والتعنيف وليس بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجري هذا المجرى، والرابع: المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه، والخامس: التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال، وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا المرتبة الخامسة (3). هذا كما ذكره الغزالي في الأحياء حول شروط الحسبة، إضافة إلى ما تقدم بيانه " فإن تغيير المنكر يشترط له ثلاثة شرط ،أولا : العلم بالشيء الذي يأمر به أو ينهى عنه لأن الجاهل للشيء كفاقده ، لا يمكن أن يعطيه

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب – 184

2-المصـــــــــــــدر نفســـــــه – 187

3- أحياء علوم الدين – 2 / 315

للآخرين(1). " فلا بد من العلم بالمعروف و المنكر والتميز بينهما ، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي ومن الصلاح ان يأتى بالأمر والنهى بالصراط المستقيم وهو اقرب الطرق الى حصول المقصود(2).

ثانيا : توفر القدرة والإستطاعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن العجزـ كما تقدم في شروط المحتسب ـ يرفع التكليف عن العاجز إلى حين تحقق القدرة على دفع ما تم العجز فيه. ثالثا: إن لا يؤدي تغيير المنكر إلى منكر أكبر وأشد، أومساوي له ، لأن الغاية من النهي عن المنكر تقليل المفاسد ودفعها وليس تكثيرها وجلبها، فالإسلام جاء بجلب المصالح ودفع المفاسد, ودرأ المفاسد مقدم على جلب المصالح(3). منها فيما اذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهى وإن كان متضمنا لتحصل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح او يحصل من المفاسد اكثر لم يكن مأمورا به بل يكون محرما اذا كانت مفسدته اكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الانسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ولا اجتهد رأيه لمعرفة الاشباه والنظائر وقل ان تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الاحكام، وعلى هذا اذا كان الشخص اوالطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما بل اما ان يفعلوهما جميعا او يتركوهما جميعا لم يجز ان يؤمروا بمعروف ولا ان ينهوا عن منكر بل ينظر فإن كان المعروف اكثر امر به وان استلزم ما هو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف اعظم منه(4). بهذه الشروط الثلاثة، يتقدم بتغيير المنكر، أي: فرد من أفراد الأمة، أي كان موقعه ومهما كانت مكانته (5). كما قال سفيان الثوري (6) رحمه الله : لا يأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية – 157

2- مجموع الفتاوى – 28/ 136 – ينظر : الإســــــتقامة – 2 / 230 3- حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية – 157و158 4- الإســــــتقامة – 2 / 216، 217- ينظر : مجموع الفتاوى – 28/ 128 ، 129 5- حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية –،158 6- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من ولد ثور بن عبد مناة ، ولد سنة سبع وتسعين وله من الكتب كتاب الجامع الكبير يجري مجرى الحديث رواه عنه جماعة، ومات سفيان الثوري بالبصرة مستترا من السلطان ودفن عشاء وذلك في سنة إحدى وستين ومائة وهو إبن أربع وستين سنة ...( كتاب الفهرست لإبن النديم – 314 )

إلا من كان فيه ثلاث خصال : رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بم يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى(1)."ونقل شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله في المجموع ، ثلاث خصال أيضا في الآمر والناهي وهي: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمربه و فقيها فيما يتهى عن، رفيقا فيما يأمر به ورفيقا فيما ينهى عنه، حليما فبما يأمر به وحليما فيما ينهى عنه(2). "فأما العلم بما يأمر، فقد تحدثنا عنه قبل قليل ، وأما الرفق : كما يقول النبيَّ صلى الله عليه وسلم:(( ماكان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف فشيء إلا شانه )) وقوله أيضا: (( إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف)) (3).

ولابد أيضا أن يكون الآمر والناهي ، حليما صبورا على الأذى ، فأنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثرمما يصلح(4). كما قال لقمان لإبنه : ((.. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ))(5). ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالصبر ، كقوله لخاتم الرسل : ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ،.......وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ))(6). فأفتح آيات الإرسال الى الخلق بالأمر بالنذارة وختمها بالأمر بالصبر، ونفس الإنذار أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر،وقال سبحانه :(( وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ ))(7)، وقال :(( إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ))(8). إذن فلا بد من هذه الثلاث : الرفق والعلم والصبر، العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاث مستصحبا في هذه الأحوال(9). هذه هي شروط الآمر والناهي ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند الفقهاء والعلماء، وأما مراتب تغيير المنكر وإنكاره ، فقد رتبه العلماء على ما رتبه

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- صحيح وصايا الرسول – 3/ 446 2- مجموع الفتاوى – 28/ 137 – ينظر : الإســــــتقامة – 2 / 233 3- الإســــــتقامة – 2 / 230،231 – ينظر : مجموع الفتاوى – 28/ 136 4- المصــــد نفســـه – 2/ 232، 233 – ينظر : مجموع الفتاوى – 28/ 136 5- ســـورة لقمان – 17 6- ســـورة المدثر – 1 ، 7 7- ســـــورة النحل - 127 8- ســـوة يوسف – 90 9- مجموع الفتاوى – 28/ 136،137 – ينظر : الإســــــتقامة – 2 /232، 233

النبيَّ صلى الله عليه وسلم، كما في حديث أبي سعيد الخدري ضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ))(1)."هذه مراتب تغيير المنكر ودرجاته ، وكل مسلم يجب أن يقوم بما يستطيعه منها، ولا يجوز له أن ينكر المنكر ولا يجوز له أن ينتقل إلى مرتبة وهو يستطيع القيام بالمرتبة التي قبلها، فلا يجوز لمن يقدر على تغيير المنكر باليد أن يقتصر على إنكاره باللسان ، ولايجوز لمن يستطيع الإنكار باللسان أن يقتصرعلى إنكاره بالقلب(2)."دلَّ الحديث على وجوب إنكار المنكربحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لابد منه، فما لم ينكر قلبه المنكر دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه(3). " كما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه " إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف ولم ينكر قلبه المنكرنكس، فجعل أعلاه أسفله(4). "وسمع إبن مسعود ضي الله عنه رجلا يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر، يشير الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك (5).

تبين لنا في ضوء هذا الحديث الشريف أن مراتب إنكار المنكر ثلاث ، إما أن يكون التغيير باليد ، وإما باللسان وإما بالقلب ، " وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل" كما جاء في الحديث. فإنكار المنكر بالقلب ،كما تحدثنا عنه قبل قليل، مسؤول عنه كل مسلم، ومن لم ينكر المنكر بقلبه، فليس بمسلم، فلا يعجز عنه أحد ولا يعذر فيه أحد .فمن لم يستطع التغيير إلا بالقلب فعليه إنكاره بقلبه سواء كان في تقية أولم يكن، لأن قوله " فإن لم يستطع " معناه أنه لا يمكنه إزالته بالقول، فأباح له السكوت في هذا الحال، فإذا كان منكرا للمنكر بقلبه ولا يستطيع تغييره على غيره فهو غير داخل في

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه مسلم – 1/ 69 – كتاب الإيمان ، باب 20 – رقم الحديث 49

2- المنتقى من فتاوى شيخ الفوزان – شبكة العنكبوتية – إعداد : موقع روح الإسلام

3- صحيح وصــايا الرسول – 3 / 438

4- غذاء الألباب شح منظومة الآداب – 194 5- المصـــدر الســـابق – 3 / 439

وعيد فاعليه(1)، بل هو ممن قال الله تعالى :(( عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ))(2). وقا ابن مسعود: يوشك من عاش منكم أن يرى منكرا لا يستطيع له أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره(3). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إذا علمت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عها فرضيها كمن شهدها))(4). فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها، لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم لا يسقط على أحد في كل حال من الأحوال(5).

و أما الإنكار باليد واللسان ، "وعن عبيد الله بن جرير عن أبيه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال :(( ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب))(6)، وفي حديث آخر" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة ))(7). وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(( لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : كيف يذل نفسه ؟ قال: (( يتعرض من البلاء مما لا يطيقه))(8). يدل على أنه إذا علم أنه لا يطيق الأذى ولا يصبر عليه، أن لا يذل نفسه . ومع هذا فمتى خاف الآمر أن يأمر على الأمراء على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى، سقط أمرهم ونهيهم، وقد نص الأئمة على ذلك ، قال الإمام أحمد: لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول ، وقال

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- أحــكام القرآن للجصــاص – 2 318، 319 - ينظر: شرح السنة- 50 –الطبعة الأولى – دارإبن القيم-الدمام- 1408هـ1988م- تأليف: الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد(المتوفى329هـ) تحقيق: د.محمد سعيد سالم القحطاني 2- ســــــورة المائـــدة – 105 3- صحيــح وصايا الرسول – 3 / 439 4- رواه أبو داود-2 / 528 كتاب الملاحم ،باب الأمروالنهي- رقم الحديث 4345 5- المصـــدر الســـابق – 3 / 439 6- مسند إمام أحمد – 4 / 364 – رقم الحديث 19250. تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن ، ورجاله ثقات ، 7- المصــدر نفســه – 4 / 192 – رقم الحديث 17756.تعليق شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره 8- رواه إبن ماجــة – 2 / 1332 – كتاب الفتن ، باب21- رقم الحديث 4016 . قال الشيخ الألباني : حديث حسن .

إبن شبرمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن يصابر فيه الإثنين ويحرم عليه الفرار منهما، ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك(1). وأن أضعف مراتب إنكار المنكر يكون بالقلب، ثم أرقى من الإنكار بالقلب الإنكار باللسان، أي: أن ينكر المنكر بلسانه بأن يصيح عليهم فيتركونه، أو يسلط عليهم من يغيره، و أقوى مراتب الإنكار يكون باليد(2).

" قال العلماء : الأمر بالمعروف باليد على الأمراء وباللسان على العلماء وبالقلب على الضعفاء يعني عوام الناس فالمنكر إذا أمكنت إزالته باللسان للناهي فليفعله وإن لم يمكنه إلا بالعقوبة أو بالقتل فليفعل فإن زال بدون القتل لم يجز القتل(3). وهذا تلقى من قول الله تعالى: (( فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ))(4). فالإنكار باليد واللسان " إنما يجب على من يقدر على ذلك من الولاة والعلماء وغيرهم من المسلمين إذا لم يترتب على ذالك حصول منكر أشد(5). و يقول إبن تيمية رحمه الله : " وعلى هذا اذا كان الشخص او الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما بل اما أن يفعلوهماجميعا أو يتركوهما جميعا، لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر فان كان المعروف اكثر أمر به وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ،بل يكون النهى حينئذ من باب الصدعن سبيل الله والسعى فى زوال طاعته وطاعة رسوله ، وزوال فعل الحسنات وان كان المنكر أغلب نهى عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمربذلك المعروف المستلزم للمنكرالزائد عليه أمرا بمنكر وسعيا فى معصية الله ورسوله(6). و إن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما فتارة يصلح الأمر وتارة يصلح النهى وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهى حيث كان المعروف والمنكر متلازمين ، وذلك فى الأمور المعينة الواقعة، وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- صحيــح وصايا الرسول – 3 / 442، 443 2- غذاء الألباب شح منظومة الآداب – 193 3- الجـامع لأحكــام القرآن – 4 / 52 4- ســـورة الحــجرات – 9 5- المنتقى من فتاوى شيخ الفوزان – شبكة العنكبوتية – إعداد : موقع روح الإسلام 6- مجموع الفتوى – 28 / 129، 130 – ينظر: الإستقامة – 2 / 218

مطلقا وينهى عن المنكر مطلقا وفى الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها ويحمد محمودها ويذم مذمومها إذ لا يتضمن الأمر بمعروف فوات اكثر منه أو حصول منكر فوقه ولا يتضمن النهى عن المنكر حصول أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه واذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق فلا يقدم على الطاعة الا بعلم ونية(1). ويقول رحمه الله أيضا :" فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضال. وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد فأما القلب فيجب بكل حال اذا لا ضرر في فعله ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ادنى او اضعف الايمان وقال ليس وراء ذلك من الايمان حبه خردل وقيل لأبن مسعود رضي الله عنه من ميت الاحياء فقال الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وهذا هو المفتون الموصوف بأن قلبه كالكوز مجخيا(2).

ويقول بعض العلماء أن إنكار المنكر متعلق بالرؤية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا" يدل على أن الإنكار متعلق بالرؤية ، فإن كان مستورا فلم يره ولكن علم به، فالمنصوص عن أحمد في أكثر الروايات أنه لا يتعرض له وأنه لا يفتش عل ما أستر به، وعنه في رواية أخرى : أنه يكسر المغطي إذا تحققه، ولو سمع صوت غناء محرم أو آلات الملاهي وعلم المكان التي هي فيه فإنه ينكرها، لإنه قد تحقق المنكر وعلم موضوعه فهو كما لو رآه، وأما إذا لم يعلم مكانه فلاشيء عليه.

وقوله " وذلك أضعف الإيمان " دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان، ويدل على أنه من قدر على خصلة من خصال الإيمان و فعلها كان أفضل ممن تركها عجزا عنها3). ومن هنا نذكر بعض المجتمعات التي يتغير فيها الإنكار في البعض دون البعض، كما أوردها سيد قطب رحمه الله تعالى، في ظلال

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- مجموع الفتاوى – 28 / 129 – ينظر : الإستقامة – 2 / 218

2- الإستقامة – 2 / 218 – ينظر : مجموع الفتاوى – 28 / 130

3- صحيـــح وصايا الرسول – 3 / 444

القرآن و يقول : أن كل النصوص القرآنية والنبوية التي ورد فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت تتحدث عن واجب المسلم في المجتمع المسلم . مجتمع يعترف إبتداء بسلطان الله ، ويتحاكم إلى شريعته، مهما وجد فيه من طغيان الحكم، في بعض الأحيان، ومن شيوع الإثم في بعض الأحيان(1). وهكذا نجد في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (( أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر))(2). فهو إمام ،ولا يكون إماما

حتى يعترف إبتداء بسلطان الله، وبتحكيم شريعته، فالذي لا يحكم بشريعة الله لا يقال له " إمام" إنما يقول عنه الله سبحانه وتعالى: (( وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ))(3). والمجتمعات الجاهلية التي لا تحتكم إلى شريعة الله، فالمنكر الأكبر فيها والأهم ، هو المنكر الذي تنبع منه كل المنكرات ، هو رفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة، وهذا المنكر الكبير الأساسي الجذري هو الذي يجب أن يتجه إليه الإنكار، قبل الدخول في المنكرات الجزئية،التي هي تبع لهذا المنكرالأكبر،وفرع عنه وعرض له(4). إنه لا جدوى من ضياع الجهد ،جهد الخيرين الصالحين من الناس،في مقاومة المنكرات الجزئية الناشئة بطبيعتها من المنكر الأول، منكر الجرأة على الله وإدعاء خصائصه الألوهية، ورفض ألوهية الله، برفض شريعته للحياة، لا جدوى من ضياع الجهد في مقاومة منكرات هي مقتضيات ذلك المنكر الأول ثمراته النكدة بلا جدال، على إنه إلامَ نحاكم الناس في أمرما يرتكبونه من منكرات؟ بأي ميزان نزن أعمالهم لنقول لهم : هذا منكر فاجتنبوه؟ أنت تقول أن هذا منكر، فيطلع عليك عشرة من هنا ومن هناك يقولون لك: كلا ، ليس هذا منكرا. لا بد إذن من ميزان ثابت نرجع إليه بالأعمال، ولابد من قيم معترف بها نقيس إليها المعروف والمنكر، من أين نستمد هذه القيم؟ ومن أين نأتي بهذا الميزان ؟ من تقديرات الناس وعرفهم وأهوائهم وشهواتهم، وهي متقلبة لا تثبت على حال؟ إننا ننتهي إذن إلى متافهة لا ليل فيها، فلا بد إبتداء من إقامة الميزان، ولابد أن

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- في ظلال القرآن – 2 / 949 2- رواه أبو داود- 2/527- كتاب الملاحم باب الأمر والنهي- رقم 4344- والترمذي-4/471- كتاب الفتن باب 13-رقم 2174- وإبن ماجه- 2/1329-كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-رقم 4011- قال الألباني: حديث صحيح 3- ســـورة المائــدة – 44 4- في ظلال القرآن – 2 / 950

يكون هذا الميزان ثابتا لا يتأرجح مع الأهواء . هذا الميزان الثابت هو ميزان الله. فماذا إذا كان المجتمع لا يعترف إبتداء بسلطان الله؟ ماذا إذا كان لا يتحاكم إلى شريعة الله ؟ بل ماذا إذا كان يسخر ويهزأ ويستنكر وينكل بمن يدعوه إلى منهج الله. ألا يكون جهدا ضائعا، وعبثا هزلا، أن تقوم في مثل هذا المجتمع لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، في جزئيات وجانبيات من شؤن الحياة، تختلف عليها الموازين والقيم، وتتعارض فيها الآراء والأهواء ؟ أنه لابد من الإتفاق مبدئيا على الحكم، وعلى ميزان وعلى سلطان، وعلى جهة يرجع اليها المختلفون في الآراء والأهواء(1).

لابد من الأمر بالمعروف الأكبر،وهو الإعتراف بسلطان الله ومنهجه للحياة،والنهي عن المنكر الأكبر، وهو رفض ألوهية الله برفض منهجه للحياة وبعد إقامة الأساس يمكن أن يقام البنيان، فالتوفر الجهود المبعثرة إذن، ولتحشد كلها في جبهة واحدة، لإقامة الأساس الذي عليه وحده يقام البنيان . وأن الإنسان ليرثى أحيانا ويعجب لأناس طيبين، ينفقون جهدهم في " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" في الفروع، بينما الأصل الذي تقوم عليه حياة المجتمع المسلم، ويقوم عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقطوع (2). فما غناء أن تنهى الناس عن أكل الحرام مثلا، في مجتمع يقوم إقتصاده كله على الربا يستحيل أن يكون ماله كله حراما، ولا يملك فرد فيه أن يأكل من حلال، لأن نظامه الإجتماعي والإقتصادي كله لا يقوم على شريعة الله، لأنه إبتداء يرفض ألوهية الله برفض منهجه للحياة. وماغناء ان تنهى الناس عن الفسق مثلا في مجتمع قانونه لا يعدُّ الزنا جريمة، إلا في حالة الإكراه، ولا يعاقب حتى في حالة الإكراه بشريعة الله، لأنه إبتداء يرفض ألوهية الله برفض منهجه للحياة .؟ وما غناء أن تنهى الناس عن السكر في مجتمع قانونه يبيح تداول وشرب الخمر، ولا يعاقب إلا على حالة السكر البين في طريق العام. وحتى هذه لا يعاقب فيها بحد الله، لأنه لا يعترف إبتداء بحاكمية الله. وما غناء أن تنهى الناس عن سب الدين، في مجتمع لا يعترف بسلطان الله، ولا يعبد فيه الله إنما هو يتخذ أربابا من دون الله ، ينزلون له شريعته وقانونه، ونظامه وأوضاعه ، وقيمه وموازينه ،

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- في ظلال القرآن – 2 / 950

2- نفســـه – 2 / 950

والساب والمسبوب كلاهما ليس من دين الله, إنما هما وأهل مجتمعهما طراً في دين من ينزلون لهم الشرائع والقوانين،ويضعون لهم القيم والموازين.ما غناء الأمربالمعروف والنهي عن المكرفي مثل هذه الأحوال؟ ماغناء النهي عن هذه الكبائر، فضلا عن أن يكون النهي عن الصغائر، والكبيرة الكبرى لا نهى عنها.؟ كبيرة الكفر بالله، برفض منهجه للحياة ،أن الأمر أكبر و أوسع وأعمق ، ينفق فيه الطيبون جهدهم وطاقتهم وأهتمامهم،أنه في هذه المرحلة، ليس أمر تتبع الفرعيات، مهما تكن كبيرة حتى ولو كانت هي حدود الله. فحدود الله تقوم إبتداء على الإعتراف بحاكمية الله دون سواه.فإذا لم يصبح هذا الإعتراف حقيقة واقعة تتمثل في إعتبارشريعة الله هي المصدر الوحيد للتشريع. وإعتبار ربوبية الله وقوامته هي المصدر الوحيد للسلطة. فكل جهد في الفروع ضائع، وكل محاولة في الفروع عبث، والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة من سائر المنكرات ، وقد يجيء على المسلمين زمان لا يستطيعون فيه تغيير المنكر بأيديهم، ولا يستطيعون فيه تغيير المنكربألسنتهم ، فيبقى أضعف الإيمان، وهو تغييره بقلوبهم، هذا مالا يملك أحد أن يحول بينهم وبينه، إن هم كانوا حقا على الإسلام(1). والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم : (( وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل ))(2). أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، وليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة،ولهذا قال "ليس وراء ذلك "فجعل المؤمنين ثلاث طبقات فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه (3). إنكار المنكر بالقلب، معناه هذه القلب بإيجابيته تجاه المنكر، أنه ينكره ويكرهه ولا يستسلم له(4). وأن مايحيط اليوم بالعالم الإسلامي من مخاطر والأزمات الإقتصادية وما يتعرضون له من عنف وقتل ونهب الأموال والثروات البلاد إنما هو بشؤم المعاصي وعدم الحس بالمسولية وعدم التناصح والتساهل في الأمربالمعروف والنهي عن المنكر وشيوع الربا والزنا والخلاعة وشرب الخمور وغير ذلك مما إبتلى به كثير من الناس ،

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- في ظلال القرآن – 2 / 951 2- رواه مسلم – 1 / 69 – كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان – رقم الحديث 50

3- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 129، 130

4- في ظلال القرآن – 2 / 951

ولهذا قال تعالى : (( إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ))(1). والواقع أن حكام المسلمين في بلاد الإسلام في زماننا هذا لربما يعتقدون أن الحاكمية لله تعالى ولكن هذه المجتمعات إخترقت منذ أمربعيد على يد أعداء الدين في الداخل والخارج حتى أصبحت المجتمعات الإسلامية تأخذ ببعض التشريعات الإسلامية وتترك البعض الآخر وصار حكامهم عملاءً لليهود والنصارى و أعداء الإسلام في الشرق والغرب، تركوا مناهج الشريعة الإسلامية وأخذوا بقوانين الوضعية الخبيثة تحت مسميات كثيرة كالدمقراطية والعلمانية واللبرالية والقومية...ألخ ، ولكن مع هذا لا مانع لدينا أن نقوم بتطهير المجتمعات من الفساد وأنواع الفواحش والمنكرات، كالربا والزنا وشرب الخمور وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والظلم والجور وغيرها من الأعمال الرذيلة، ونبدأ بالدعوة إلى توحيد الله وإقامة أركان الإسلام ونتحلى بفضائل الأخلاق ونساهم في ردِّ الحكم إلى صاحبه الذي يمتثل خليفة حقيقية لله وحده على وجه الأرض،في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه هي شروط الآمر والناهي ومراتب تغيير المنكر وإنكاره في المجتمعات المختلفة، بقي لنا أن نعلم ،" أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل على رجاء ثوابه وتارة خوف العقاب في تركه ، وتارة بالغضب لله على إنتهاك محارمه ، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وأعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع ولا يعصى، ويذكر ولا ينسى،ويشكر فلا يكفر،وأن يفتدي من إنتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض(2).وكان عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز رحمهم الله يقول لأبيه:وددت أني غلت بي وبك القدورفي الله تعالى(3).فمن لحظ هذا المقام، هان عليه ما يلقى من الآلام ، وربما دعا لمن آذاه، لكون ذلك في الله. كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم ، لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" (4).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- سورة الرعد – 11 . 2- غذاء الألباب شرح منظــومة الآداب - 196 - أو ينظر : صحيح وصايا الرسول – 3 / 445 . 3- صحيــــح وصايا الرســول – 3 / 445 . 4- غذاء الألباب شرح منظــومة الآداب - 196

المطلب الرابع :ـ

في الإنكارعلى السلطان ورأي المعتزلة في هذا المجال وفضائحهم في العقيدة

على الأمة المسلمة أن تتضامن فيما بينها ، وأن تتناصح و تتواصى ، وأن تهتدي بهدى الله الذي جعل منها أمة مستقلة منفصلة عن الأمم غيرها، ثم لايضيرها بعد ذلك شيئا أن يضل الناس حولها مادامت هي قائمة على الهدى. ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكالفيها في دعوة الناس كلهم ألى الهدى ، والهدى هو دينها وهو شريعتها ونظامها ، فإذا هي أقامت نظامها في الأرض بقي عليها أن تدعو الناس كافة، وأن تحاول هدايتهم، وبقي عليها أن تباشر القوامة على الناس كآفة بتقييم العدل بينهم (1)." وقد أمر الله سبحانه وتعالى بإطاعته عزوجل وإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر المسلمين (( َيا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ....))(2)."في هذا النص القصير يبين الله سبحانه شرط الإيمان وحد الإسلام ، في الوقت الذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة، وقاعدة الحكم ، ومصدر السلطان. أن حاكمية الله وحده في حياة البشر، ما جل منها وما دق ، وما كبر منها وما صغر. فالله واجب الطاعة، ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة، فشريعته واجبة التنفيذ، وعلى الذين أمنوا أن يطيعوا الله وأن يطيعوا الرسول وأولي الأمر منهم، أي من المؤمنين،الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان وحد الإسلام المبين(3)."والنص يجعل طاعة الله أصلا، وطاعة الرسول أصلا كذلك بما أنه مرسل منه ، ويجعل طاعة أولي الأمر تبعا لطاعة الله وطاعة الرسول ، فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم، كما كررها عند ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله. وطاعة أولي الأمر بعد هذه التقريرات

كلها،في صدور المعروف المشروع من الله، والذي لم يردالنص بحرمته،ولايكون من المحرم عندما يرد إلى مباديء شريعته عن الإختلاف فيه، والسنة تقرر حدود هذه

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- في ظلال القرآن – 2 / 992

2- سورة النســــاء – 59

3- المصـــــدر السابق – 2 / 690، 691

الطاعة،على وجه الجزم واليقين(1)."عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال:(( السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))(2). "وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(( اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))(3)."وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك))(4)."وعنه أيضا أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمربتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا و إن قال بغيره فإن عليه منه))(5)."وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال:قال رسوالله صلى الله عليه وسلم :(( من كره من أميره شيئا فليصبرفإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ))(6). "هذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب طاعة أولي الأمر المسلمين إلى جانب طاعة الله ورسوله،ولا يجوزلأي أحد أن يخرج من طاعة الأمير و ولاة المسلمين من غير معصية ، وأما في الإنكار على سلطان المسلمين والفرق بين البغاة والإمام الجائر، فقد جاء في الآداب الكبرى: أنه لا ينكرعلى سلطان إلا وعظا وتخويفا أوتحذيرا من العاقبة في الدنيا والأخرة ، فإنه يجب ويحرم بغيرذلك (7)."وقال إبن الجوزي:رحمه الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين، التعريف و الوعظ فإما تخشين القول، نحو يا ظالم، يا من لا يخاف الله ، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- في ظلال القرآن – 2 / 691 2- رواه البخاري: 6 / 2612-كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للأمراء- رقم الحديث 6725- ومسلم : 3 / 1469 – كتاب الإمارة باب وجوب الطاعة الأمراء- رقم الحديث 1839- - و أبو داود: 2/47 – كتاب الجهاد باب في الطاعة-رقم الحديث 2626- و الترمذي : 4 / 209-كتابالجهاد باب طاعة الإمام- رقم الحديث1706- واللفظ للبخاري 3- رواه البخاري: 6 / 2612 –كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية- رقم الحيث6723 ـ وإبن ماجة : 2/ 955- كتابالجهاد باب طاعة الإمام - رقم الحديث 2860- واللفظ للبخاري 4- رواه مسلم : 3 / 1567- كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء- رقم الحديث 1836 5- رواه البخاري: 3 / 1080-كتاب الجهاد واليسر باب يقاتل من وراء الإمام-رقم الحديث 2797- ومسلم : 3/ 1466- كتاب الإمارة باب وجوب الطاعة الأمراء- رقم الحديث 1835- والنسائي : 7 / 154 –كتاب البيعة باب الترغيب في طاعة الإمام- رقم الحديث 4193- ابن ماجة: 2 / 954- كتابالجهاد باب طاعة الإمام رقم الحيث 2859 6- رواه البخاري: 6/ 2612-كتاب الفتن باب2-رقم الحديث 6645- ومسلم : 3/ 1477كتاب الإكارة باب13-رقم الحديث 1849 7- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 137

إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء، قال : الذي أراد المنع من ذلك لأن المقصود إزالة المنكر وحمل السلطان بالإنبساط عليه على الفعل المنكر أكثر من فعل المنكر الذي قصد إزالته. قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول(1)."أمرالنبي صلى الله عليه سلم بالصبرعلى جور الإئمة، ونهى عن قتالهم، ما أقاموا الصلاة، وقال: (( أدوا اليهم حقوقهم واسألوا الله حقوقكم )) ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة ، وأما أهل الأهواء كالمعتزلة فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم(2)." وفي الحديث ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(( من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله ))(3). "وسلطان الله في الأرض هوخليفة المسلمين وإمامهم الذي به تقام الحدود والشعائر وتنفيذ الأحكام، ويصان الدين،وتجييش الجيوش للجهاد في سبيل الله وتحفظ مقاصد الدين وكيانه(4)." وقال سعيد بن جبير: قلت لإبن عباس، آمر السلطان بالمعروف وانهاه عن المنكر؟ قال : إن خفت لاتكن فاعلا ففيما بينك وبينه. وقال طاووس : أتى رجل لإبن عباس فقال : ألا أقوم إلى هذا السلطان فآمره وأنهاه ؟ قال : لا تكن له فتنه، قال : افرأيت أن أمرني بمعصية الله ؟ قال : ذلك الذي تريد فكن حينئذ رجلا(5)." ووعظ إبن الجوزي في سنة أربع وسبعين و خمسمائة بحضور الخليفة المستضيء بأمرالله وقال : لو أني مثلت بين يدي السنة الشريفة لقلت يــاأمير المؤمنين كن لله سبحانه مع حاجتك اليه، كما كان لك مع غناء عنك، أنه لم يجعل أحدا فوقك ، فلا ترضى أن يكون أحد اشكر له منك، فتصدق أمير المؤمنين بصدقات وأطلق المحبوسين(6)." ووعظ أيضاً في هذه السنة والخليفة حاضر، قال : وبالغت في وعظ أمير المؤمنين فيما حكيته له: أن الرشيد قال لشيبان :عظني ،فقال: يــا أمير المؤمنين لإن تصحب من يخوفك حتى تدرك الأمن ، خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تدرك الخوف، قال:فسرلي هذا، قال : من يقول لك أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله،

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 137 2- مجموع الفتاوى – 28 / 128، 129- أو ينظر : الإستقامة – 2 / 215، 216 3- رواه الترمذي : 4 / 502 – كتاب الفتن باب 47 – رقم الحديث 2224 . قال الشيخ الألباني: حديث صحيح. 4- حكم الإسلام في الدمقراطية والتعددية الحزبية – 161 5- صحيح وصايا الرسول – 3 / 441 6- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 138

أنصح لك ممن يقول لك أنتم أهل البيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيِّكم ، فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله، فقلت له : في كلامي يــاأمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك(1).

"ودخل إبن السماك على الرشيد فقال له : تكلم و أوجز، فقال : أن أخوف ما أخاف على نفسي الدخول إليك ، فغضب الرشيد وقال: لتخرجن مما قلت أو لأفعلن بك و أصنعن ، قال : أنت ولي الله في عباده،فإن أنا لم أنصح لك فيهم وأصدقك عنهم، خفت الله عزوجل في ذلك، إتق الله في رعيتك، وخف المرجع الى الله عزوجل لم أرَ أحسن من وجهك فلا تجعله لجهنم حطبا(2)."وأماجهاد الأمراء باليد هو أن يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات،مثل أن يرق خمورهم أو أن يكسر آلات الملاهي التي لهم ونحو ذلك، وليس هو من باب قتالهم ولامن الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه،فإن هذا أكثر ما يخشى منه أن يقتل الآمر وحده . وأما الخروج عليهم بالسيف فيخشى منه الفتن التي تؤدي إلى سفك دماء المسلمين. وأن يخشى في الأقدام على الإنكار على الملوك أن يؤذي أهله أو جيرانه لم ينبغِ له التعرض لهم حينئذ لماضيه من تعدي الأذى إلى غيره(3)."والأصل في نظام الأمة المسلمة أن يكون للمسلمين في إنحاء الأرض إمامة واحدة،وأنه إذا بويع لإمام وجب قتل الثاني،وإعتباره ومن معه فئة باغية يقاتلها المؤمنون مع الإمام. وعلى هذا الأصل قام الإمام علي رضي الله عنه، بقتال البغاة في وقعة الجمل وفي وقعة صفين،وقام معه بقتالهم إجلاء الصحابة رضوان الله عليهم . "فواجب المسلمين أن يحارب البغاة مع الإمام الواحد إذا خرج هؤلاء البغاةعليه،أو إذا

بغت طائفة على طائفة في إمامته دون الخروج عليه، و واجب المسلمين كذلك أن يقاتلوا البغاة إذا تمثلوا في إحدى الإمامات المتعددة في حالات التعدد الإستثنائية، بجمعهم ضد الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمرالله(4)."ويقول أبوبكر الجصاص:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فإن قيل فهل تجب إزالة المنكر من طريق إعتقاد المذاهب الفاسدة على وجه التأويل كما وجب في سائر المناكر من الأفعال؟ قيل : له هذا على وجهين : فمن كان منهم داعيا إلى مقالته فيضل الناس بشبهته فإنه تجب إزالته عن ذلك بما أمكن،

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 138 2- المصـــدر نفســــه – 1 / 139 3- صحيـــح وصــايا الرســول – 3 / 442 4- في ظـــلال القـــرآن – 6 / 3343 و 3344 .

ومن كان منهم معتقدا ذلك في نفسه غير داع إليها فإنما يدعى إلى الحق بإقامة الدلالة على صحة قول الحق وتبيينه،فسار شبهته ما لم يخرج على أهل الحق بسيفه ويكون له أصحاب يمتنع بهم عن الإمام فإن خرج داعيا إلى مقالته مقاتلاعليها،فهذا الباغي الذي أمرالله تعالى بقتاله حتى يفيء إلى أمرالله تعالى(1) "وقد روي أن ابا ذرّالغفاري رضي الله عنه، تناجى مع عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى إرتفعت أصواتهما، ثم إنصرف أبوذرمبتسما فقال: له الناس: مالك ولأمير المؤمنين؟ قال: سامع ومطيع، ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم إستطعت أن أفعل لفعلت(2)."لقدعرض على أبي ذرّ، تشكيل جماعة المسلحة ضد عثمان رضي الله عنهما، فرفض على الرغم من عدم رضائه عن تصرفات بعض الأمراءوعن بعض تصرفات الخليفة نفسه، وقال: ياأهل الإسلام لاتعرضوا علي ذاكم ولا تذلوا السلطان، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له،والله لوأن عثمان صلبني على إطوارخشبة أو أطوال جبل لسمعت وصبرت واحتسبت ورأيت أن ذلك خيرلي،ولو سيرني ما بين الأفق إلى الإفق، أو قال مابين المشرق والمغرب لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت ورأيت أن ذلك خيرلي،ولو ردني إلى منزلي لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت ورأيت أن ذلك خيرلي.

أن معارضة أبي ذرّ الغفاري لم تخرجه من الجماعة ولم يدع إلى ثورة مسلحة على أمير المؤمنين عثمان، فقد ألتزم الجماعة وقال الكلمة التي رأى أنها حق(3).

هذه هي أصول المعارضة والإنكار على السلطان والفرق بينه وبين البغاة في كيفية التعامل معهما في وجوب إلتزام بالجماعة وسلطان المسلمين و قتال الطائفة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله.

هذا إذا كان السلطان خليفة الله في الأرض ملتزم بشريعته قائما بحده وحدوده مخلصا لله ورسوله وللمؤمنين ، أما الوضع مختلف جدا في زماننا هذا فالسلاطين والأمراء صاروا عُمَلاءً لأعداء الله ورسوله بحيث يحس المسلم في بلاده بالغرابة في كل أنحاء بلاد المسلمين بوجه عام وفي عراقنا الحبيب بوجه خاص بعد أن أحتل البلاد من قبل الصليبيين وعملائهم الخائنين ، فنهبوا ثرواته وشرّدوا أهله وقاموا بأعمال العنف والنهب والتهريب ، ونشر الفساد والفواحش والمنكرات والطائفية والقومية وقتل الأبرياء الذين لاحول ولا قوة لهم ، في هذا الحال يجب على المسلمين أن يعترضوا وأن يشاركوا في الأمر بالمعروف

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- أحكــــام القــــرآن للجصاص – 2 / 323 2- أصــول المعارضة السياسية في الإســــــــلام – 47 3- المصـــــدر نفســــــه –47، 48

والنهي عن المنكر وأن يحاولوا لإنقاذ البلاد من مكر الأعداء وحيلهم الشيطانية بكل ما لديهم من قوة ، حتى يرد الحق إلى صاحبه ويتحرر البلاد من الأعداء وعملائهم ،ويسود الأمن والأمان ويزول الفساد والفحشاء والمنكر . عموماً : فأجرى النبي صلى الله عليه وسلم، فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،مجرى سائر الفروض في لزوم القيام به مع التقصير في بعض الواجبات، ولم يدفع أحد من علماء الأمة وفقهائها سلفهم وخلفهم وجوب ذلك، إلا قوم من الحشو وجهال أصحاب الحديث، فإنهم أنكروا قتال الفئة الباغية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسلاح، وسموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة إذا أحتيج فيه إلى حمل السلاح وقتال الفيئة الباغية،مع ما قدسمعوا فيه من قول الله تعالى :(( فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ))(1). "وما يقتضيه اللفظ من وجوب قتالها بالسيف وغيره(2). "وزعموا مع ذلك أن السلطان لا ينكر عليه الظلم والجور وقتل النفس التي حرمه الله، وإنما ينكر على غير السلطان بالقول أو باليد بغير سلاح فصاروا شرا على الأمة من أعدائها المخالفين لها لأنهم أقعدوا الناس عن قتال فئة الباغية وعن الإنكار على السلطان الظلم والجور حتى أدى ذلك إلى تغلب الفجار بل المجوس الأعداء الإسلام حتى ذهبت الثغور شاع الظلم وخبت البلاد وذعب الدين والدنيا، وظهرت الزندقة ومذهب الثنوية والخرمية والمزدكية، والذي جلب ذلك كله عليهم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنكار على السلطان الجائر(3).

وأما المعتزلة وعقائدهم ورأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن هنا نوجز أصول دينهم ونتكلم بالإختصار عن فضائح أقوالهم وآرائهم.

"المعتزلة هم من مخالفي أهل القبلة وهم أرباب الكلام أصحاب الجدل والتمييز والنظر والإستنباط والحجج على من خلفهم وأنواع الكلام والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنَصَّفُون في مناظرة الخصوم(4)." فالمعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفرسائرهاوهن: الواصلية والعمرية والهذيلية والنظامية والاسوارية والمعمرية والاسكافية والجعفرية والبشرية والمردارية والهشامية والتمامية والجاحظية والحايطية والحمارية والخياطية وأصحاب صالح قبة ، والمويسية والشحامية والكعبية، والجبابية

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- ســــورة الحجـــرات – 9 2- أحكــــام القــــرآن للجصاص – 2 / 319، 320 3- المـصـــــدر نفســــــه – 2 / 320 4- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- 36 -الطبعة الثانية- المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة- مصر- 1397هـ1977م - المؤلف : أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي- تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري

والبهشمية ،فهذه ثنتان وعشرون فرقة، فرقتان منها من جملة فرق الغلاة في الكفر، وهما الحايطية والحماريه وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها فى بدعتها أمور منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الازلية وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية(1).

"فهم يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه وعليه يتولون وبه يتعادون وإنما اختلفوا في الفروع . وقيل أن أول من أسس هذه الفرقة هو واصل ابن عطاء الغزال ، عندما دعى إلى مسألة (( المنزلة بين المنزلتين)) في مجلس الحسن البصري بالبصرة، ووافقه عمرو بن عبيد فيما أحدثه من البدعة ، فطردهم الحسن البصري من مجلسه فاعتزلوه بأتباعهم جانبا من المسجد فسموا معتزلة لإعتزالهم مجالس المسلمين ، وقولهم بمنزلة بين المنزلتين، وزعمهم أن الفاسق الملي لا مؤمن ولا كافر، وأن الفساق من أهل الملة خرجوا من الإيمان ولم يبلغوا الكفر، وأنهم مع الكفار في النار خالدين مخلدين لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة، ولما أظهروا هذه المقالة هجرهم المسلمون وخذلوهم كما كان قد أوصى إليهم أسلافهم من الصحابة (2)." ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة : التوحيد الذي هو سلب الصفات والعدل الذي هوالتكذيب بالقدر والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فيه قتال الأئمة(3)."فهم يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على جميع الناس وهكذا جميع الأمم فرض، و قال ابو الحسين الملطى رحمه الله الأمة مجمعة على أنه من رأى منكرا وجب عليه أن ينكره كما مضت به السنة، وقد اختلف أيضا في الأمربالمعروف والنهي عن المنكر فقال قوم لا ينكر على أهل الصلاة إلا بالنعال والأيدي وقال آخرون بالنعال والأيدي والكلام وقال آخرون بالقبض والسلاح وقال آخرون لا ينكر أحدٌ منكرا حتى يجتمع له عشرة آلاف رجل يقيمون إماما يقاتل معهم وإلا لم يلزمه فرض الإنكار، فنقضوا بقولهم هذا عروة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(4)." و قتال الأئمة من أصول دينهم، خلافا لأهل السنة والجماعة الذين يعتقدون لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة(5). وعلى الرغم من هذا، وردت الفضائح الكثيرة في معتقداتهم وآرائهم منها : فضائحهم نفيهم صفات الباري جل جلاله

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية- 93 - الطبعة الثانية- دار الآفاق الجديدة – بيروت- لبنان- 1397هـ1977م -

تأليف : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور.-................. 2- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- 22 . 3- مجموع الفتــاوى- 28 / 128،129- ينظر:الإســــــتقامة – 2 / 216- و:التنبيه والردعلى أهل الأهواء والبدع- 36 4- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- - 36 ، 37 5- مجموع الفتــاوى - 28 / 128 - ينظر:الإســــــتقامة – 2 / 215، 216

حتى قالوا أنه ليس له سبحانه علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا بقاء وأنه لم يكن له في الأزل كلام ولا أرادة ولم يكن له في الأزل اسم ولا صفة لأن الصفة عندهم هو وصف الواصف ولم يكن في الأزل واصف والاسم عندهم التسمية ولم يكن في الأزل مسم اذ لم يكن له كلام في الأزل عندهم وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة هذا قولهم في صانع العالم وبديهة العقل تقتضي فساده لإحاطة العلم باستحالة كون من لا علم له ولا قدرة له ولا سمع له ولا بصر له صانعا للعالم ومدبرا للخليقة(1)." إلا أنهم يعدلون إلى ما هم به يجزون ويطالبون لأن أهل الصلاة من أهل السنة والجماعة يقولون إن الله واحد قديم صمد فرد ليس كمثله شيء لا شبيه له ولا نظير ولا ند ولا عديل وإنه عدل لا يجوز وصادق لا يكذب ولا يخلف الميعاد(2). "ومن فضائحهم قولهم : أن الله تعالى لا يرى وأنه لايرى نفسه وقال كثير منهم أنه لا يرى شيئا ولا يبصر بحال وليس معبودهم على هذا القول إلا كما نهى إبراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته(3)، "حين قال: (( إِِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ))(4).

"ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم أن كلام الله تعالى مخلوق له، يخلق لنفسه كلاما في جسم من الأجسام فيكون فيه متكلما، وأنه لم يكن متكلما قبل أن خلق لنفسه كلاما ولو كان الأمر على ما قالوه لكان الأمر والنهي والشرع لذلك الجسم الذي خلق فيه الكلام (5)، "و ذلك خلاف قوله تعالى:(( إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ))(6)." ومنها قولهم جميعا بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشىء من أعمال الحيوانات وقد زعموا ان الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وانه ليس لله عز وجل فى اكسابهم ولا فى اعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ولأجل هذا القول

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين – 63 - الطبعة الأولى- عالم الكتب- بيروت – لبنان -1403هـ1983م- تأليف : طاهر بن محمد الإسفراييني - تحقيق : كمال يوسف الحوت – ينظر:الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية- 93، 94 2- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- 36 3- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين 63 ، 64 4- ســـــورة مــريــــم – 42 5- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين – 64 6- ســــــورة النــــحل – 40

سماهم المسلمون قدرية"(1)."ومن فضائحهم قولهم: وأنه من آمن بالله ورسله وكتبه

ودينه وأحل الحلال وحرم الحرام ثم أصاب في إيمانه كبيرة فإنه فاسق لا يخرجه ذنبه من الإيمان إلى الكفر ولا يدخله في الإيمان على التفرد وإنما هو فاسق لا كافر ولا مؤمن ولا مسلم وإن كان أقر بالله واسلم له فإن اسم الإيمان والإسلام لا يعود له كما يعود للذين آمنوا وعملوا الصالحات(2)."ودعواهم فى الفاسق من أمة الاسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهى انه فاسق لا مؤمن ولا كافر ولاجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها(3)."من فضائحهم قولهم: إن كثيرا من الأشياء تجب على العبد من غير أن يكون من أمر الله تعالى فيه أمر، مثل النظروالاستدلال وشكرالمنعم وترك الكفر والكفران، ثم يقولون إن هذا العبد إذا أتى بهذه الأشياء على قضية عقله دون أمر ربه سبحانه وجب على الله تعالى أن يثيبه من غير أن يكون من قبله فيه أمر أو خبر أو وعد أو وعيد أو تكليف ، ثم إذا أتى به وجب على العبد شكره فإذا شكره وجب على الله ثوابه، وهكذا يدور الأمر بين العبد والرب وهذا يوجب أن لا يتمكن الرب على قولهم من أن يخرج الرب من واجبات العبد،"تعالى الله عن قولهم"من غير أن يكون عليه تكليف أو شريعة مرتبة عليه وعلى قياس هذا يكون كل واحد منهما مؤديا للواجب ولا يكون لأحدهما فضل على الآخر(4)."ومن فضائحهم قولهم إن العبد لا يحصل له صفة الإيمان حتى يعلم جميع ما هو شرط في إعتقادهم ويبلغ في معرفته درجة علمائهم كأبي الهذيل والنظام وغيرهما ويقدر فيه على تقرير الدلالة ويتمكن من المناظرة والمجادلة ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافرا لا يحكم له بالإيمان ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين ولذلك زعموا أن علماء مخالفيهم كفرة كلهم وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم وهذا يوجب أن لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه وأن يكون منفردا بدخول الجنة مع ما ورد من الأخبار في كثرة أهل الجنة ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم أن المعتزلي بالتقليد كافر بالإجماع

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية- 94 2- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- 36- ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- 65 3- المصــــدر السابق - 94 - ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- 65 4- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- 66

ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه فأنكروا من مفاخر رسول الله ما كان مختصا به زائدا على الأنبياء كوجود المعراج وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ووجود حوض الكوثر وأنكروا ما ورد في هذه الأبواب من الآثار والأخبار القبر أيضا وأنكروا قول عمر أني أعوذبك من الكفر والفقر وعذاب القبرمع اتفاق أهل النقل على روايته (1). "وقالوا في إنكار المنكر الذي يجب على الرجل إذا رأى المنكر الذي يجب فرض رده عليه أن ينكره بما قدر عليه فإن لم يقدر على إنكاره بأشد الأمور وإلا أنكره فبقلبه ولا شئ عليه إذا لم يقدر على تغييره(2)."فهم خلاف الأمة يرون الخروج عن الجماعة وقتال الأمراء و ولاة الأمر المسلمين إذا استطاعوا وتمكنوا عليه. فهذا هو جزء قليل من مفاسد وفضائح المعتزلة في كل جوانب الشريعة الطاهرة من آرائهم ، ولا سيما في موضوعنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إذن فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،واجب على المسلمين بحسب القدرة والإستطاعة فهو سبيل تطهير المجتمع من الخبائث والمنكرات، وهو عنوان خيرية هذه الأمة، لابد أن نقوم به ونحاول بأحيائه في المجتمع،لاسيما في زماننا الذي كثرت الخبائث والمنكرات والفواحش وأسبابها، وجاهد لإقامته بأفضل مما يمكن تطبيــــقه.

"واذ كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به ومن النهي عن المنكر إقامة الحدود على من خرج من شريعة الله ويجب على أولي الأمروهم علماء كل طائفة وأمراؤهاومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر(3)،"فيأمرونهم بما أمر الله به ورسوله مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تبعد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك ومثل ما امر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاءلرحمة الله والخشية من عذابه والصبر لحكم الله والتسليم لأمرالله، مثل صدق الحديث و الوفاء بالعهود وأداء الأمانات إلى أهلها و برالوالدين وصلة الأرحام والتعاون على البر والتقوى والإحسان إلى الجارواليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والعدل في المقال

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين- 67

2- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- 38

3- الإســــــتقامة – 2 / 209 - ينظر : مجموع الفتاوى – 28 / 126

والفعال ثم الندب إلى مكارم الاخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عن ظلمك ومن الامر بالمعروف كذلك الامر بالائتلاف والاجتماع و النهي عن الاختلاف والفرقة وغير ذلك(1).

" وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله وهو ان يدعومع الله الها اخر كالشمس والقمر والكواكب أو كملك من الملائكة أو نبي من الانبياء أو رجل من الصالحين أو أحد من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله ومن المنكر كل ما حرمه الله كقتل النفس بغير الحق وأكل أموال الناس بالباطل بالغصب أو بالربا أو الميسر والبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وتطفيف المكيال والميزان والإثم والبغي وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.(2)..

أذن فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي على كل مسلم بقدر المستطاع في كل مكان وبالأخص في بلدنا الحبيب الذي إنتشر فيه الفساد والظلم والجور والجهل والقتل والنهب وكثير من الفواحش والمنكرات، بسبب إحتلاله من قِبَلِ الصليبيين الذين دمّروا البلاد ونهبوا ثرواته وقتلوا أبنائه وقاموا بنشر الطائفية والقومية حتى لا يستقر الوضع ولايسود الأمن الأمان على من ساكنيه ، وسيطرواعلى خيراته وثرواته الطبيعية وسرقوه مع عملائهم الخائنين في الداخل الذين لا يقومون بواجبهم الحقيقة تجاه الشعب ولا يحسون بمسؤوليتهم لخدمة دينهم ووطنهم، بحيث أن العراق من أكبر الدول العالم في مجال ثرواته الطبيعية ولكن شعبه يعد من أفقر شعوب العالم حتي بعد دول الفقيرة المشهورة. كل هذا على الرغم من الإحتلال وآثاره السلبية على البلاد ناتج عن عدم الحس بالمسؤولية وغياب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، لابد أن نقوم بكل مالدينا من قوة لإحياء هذا المبدأ العظيم و ننجي أمتنا من مكر الأعداء من الملاحدة العلمانيين والوثنيين وشياطين الإنس والجن،الذين فرضوا هيمنتهم على العالم ويخططون لتشويه الإسلام الحليم الحكيم من وجوه العالمين، تحت مسميات الكذبة كالإرهاب والحرية الشيطانية.... وغيرها، ويحاولون بالليل والنهارلإيجاد التفرقة بين المسلمين بإحياء العصبية والقومية والطائفية ،

ولإفساد مجتمعاتنا بكل جوانبها الأخلاقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية،عن طريق

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الإســـــــتقامة – 2 / 210 ، 211

2- المصـــــدر نفســــــه – 2 211

برامجهم الخبيثة كالعلمانية والدمقراطية التين كفرتا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأشركتا برب السماوات والأرض.

ونحن كمسلمين لابد أن نستيقظ من الغفلة التي دامت علينا أكثر من قرن، بعد إنهيار الخلافة العثمانية، ولابد أن نوحد صفوفنا ونقف جنبا الى جنب في صف واحد لإعادة الخلافة الإسلامية وحضارتها المتينة ، بقيامنا لتطبيق مضامين الشريعة الإسلامية الطاهرة، ولاسيما بقيامنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشعور بالمسؤولية الكاملة تجاه ربنا سبحانه وديننا الخالد وأمتنا الإسلامية العظيمة، حتى يردالله عزوجل كرامتنا وعزتنا وسلطتنا التي فقدناها بعد أن تركنا ديننا وإبتعدنا عن أوامرالله سبحانه كل البعد، وتركنا سنة نبيينا صلى الله عليه وسلم، منذ زمان، بعد أن سلط الله علينا أعداءنا، بسبب غفلة الأمة عن شريعتها ودستورها الطاهر ، وبسبب غفلتها عن مكر الأعداء وخططهم الشيطانية.

لابد أن نستيقظ ونتمسك بحبل الله المتين و نحي سنة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم،ونعمل بكل الجهد والإخلاص ، لجلب مرضات الله سبحانه لكي يرد الينا عزتنا ،حتى نعيش بأمن وسلام في ظل راية الإسلام،قريبا من مرضات الله ورحمته وبركاته وأمنه وأمانه، وبعيدا كل البعد عن الشيطان ومكائده وأعوانه من الجن والإنس..

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكرو الحافظين لحدوده ، وأن يهدينا إلى إقامة هذا الركن العظيم و يجعلنا من الذين يختارهم لحمل دينه الخالد ، ويقومون بنشره في أقطار الأرض بين الشعوب والأمم بإخلاص لوجه الله تعالى ومرضاته ................ آمـــين

الفصــــــل الثــــــــــانـي :ـ

الأسس الإيجابية التي أمر الله بها في هذه الآية الكريمة.

ويشتمل على المباحث الآتية :ـ

المبحث الأول:ــ

العدل، تعريفه ودلالته ومكانته في القرآن والسنة.

المبحث الثاني:ــ

الإحسان، تعريفه وفضائله ودلالته في القرآن والسنة.

المبحث الثالث:ــ

من أهم أنواع الإحسان،برّالوالدين وصلة الأرحام وإيتاءذي القربى.

المـبـحـث الأول:ــ

الـعــدل، تعــريفـه ودلالـته ومكانـتـه في القرآن والسنة.

ويشتمل على المطالب الآتية:ـ

المــطـلب الأول :ـ

تعـــريــف العــدل في اللـــغة والإصـــــطلاح .

المطلب الثاني :ــ

فضــل العـــدل ومكانتــــه في القــــرآن والســــنة .

المطلب الثـالــث :ــ

كمـال العـدل الإلهي في الكـون ونهيه سبحانه عن الظلـم والجــور.

المــطلــب الرابــع :ــ

من أبرزما يدل عليه العدل في هذه الآية الكريمة:

التوحيد:(( لا إله إلا الله ))

المطلب الأول :ـ

تعريف العدل في اللغة والإصطلاح .

أولا : تعريف العدل في اللـــــغة :ـ

العدل في اللغة العربية يطلق على معان عدة، منها : "العدل: ضد الجور،وما قام في النفوس أنه مستقيم(1). يقال: عدل عليه في القضية من باب ضرب،فهو عادل، وبسط الوالي عَدْلَهُ ومَعْدِلَتَهُ بكسرالدال وفتحها، وفلان من أهل المَعْدِلَةِ بفتح الدال، أي:من أهل العدل(2). كالعَدالة والعُدُلة والمَعدِلة والمَعدَلة، عدل يعدل: فهو عادل من عدول، وعدل بلفظ الواحد، وهذا إسم للجمع، رجل عدل، وإمرأة عدل وعدلة، وعدل الحاكم تعديلا: أقامه، وفلانا زكاه والميزان سواه، والعدلة محركة، وكهمزة المزكون، أو كهمزة للواحد،وبالتحريك للجمع، وعدله يعدله وعادله وازنه(3)."عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا،وهو عادل من قوم عدول، وعل لإسم للجمع كتجر وشرب، وفلان من أهل المعدلة أي: من أهل العدل(4). عِدل الشيء بالكسر: مثله من جنسه ،وفي المقدار أيضا ومنه: عِدلا الجمل،وعَدْله بالفتح، مثله من خلاف جنسه،ومنه قوله:أوعدله معافر، أي: مثله.وهذا عَدْلٌ بينهما:أي متعادل ومتساوٍ لا في غاية الجودة ولا في نهاية الرداءة(5). والعَدْل: المرضي من الناس قوله وحكمه،هذاعدل وهم عدل،فإذا قلت:فهم عدول على

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- القاموس المحيط – 1331- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.- ينظر: لسان العرب- 11/ 430- 2- مختار الصحاح – 176 - الطبعة جديدة- مكتبة لبنان ناشرون – بيروت- لبنان- 1415هـ1995م-

المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي - تحقيق : محمود خاطر- ينظر: لسان العرب- 11/ 430- و : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – 2 / 396

3- القاموس المحيط – 1332 4- : لسان العرب- 11/ 430- الطبعة الأولى- دار صادر- بيروت- لبنان – تأليف الإمام : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – المتوف 711هـ 5- المغرب في ترتيب المعرب- 2/ 46 - الطبعة الأولى- مكتبة أسامة بن زيد – حلب- سوريا - 1399هـ 1979م-

المؤلف : أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز- تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار. ينظر:

أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء- 20- الطبعة الأولى- دارالوفاء- جدة-1406هـ1986م المؤلف: قاسم

بن عبد الله بن أميرعلي القونوي- تحقيق: د.أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي .و:الفائق في غريب الحديث-2/339- الطبعة -الثانية- دارالمعرفة-بيروت-لبنان- المؤلف :محمود بن عمرالزمخشري- تحقيق :علي محمد البجاوي -محمد أبوالفضل إبراهيم

العدّة، قلت:هماعدلان وهوعدل بين العدل، والعَدُلَةُ والعَدْل: الحكم بالحق(1) "العدلة

والعدالة،مصدر عدُل بضم الدال، عدالة ضد الجار، ويقول : رجل عدل،أي: رضي

ومقنع في الشهادة ، وقوم عدل وعدول : وهوأيضا القيمة والفدية والحكم بالحق(2). "والعدل مصدر بمعنى العدالة وهي الإعتدال والثبات على الحق(3)."والعدل: التقسيط على السواء، وعليه روي: بالعدل قامت السماوات تنبيها على أنه لو كان ركن من

الأركان الأربعة في العالم زائدا على الآخر أو ناقصا على مقتضى الحكمة لم يكن

العالم منتظما(4)."وعدل عن الطريق عدولا : مال عنه وإنصرف،وعَدِل,عدلا:من باب تعب جاروظلم(5)."قال الأخفش:العِدْلُ بالكسر:المثل،والعَدل بالفتح:أصله، مصدر قولك عدلت بهذا عدلا حسنا، تجعله إسما للمثل لتفق بينه وبين عِدل المتاع(6)."وقال الفراء : العَدل بالفتح: ما عادل الشيء من غير جنسه،والعِدل بالكسر: المثل، تقول عندي عِدل غلامك وعدل شاتك، إذا كان غلاما يعدل غلاما أوشاة تعدل شاة، فإن أردت قيمته من غير جنسه فتحت العين وربما كسر بعض العرب، وكأنه غلط منهم(7)."منه حديث أبن عباس قال:مايغني عنا الإسلام وقدعَدَلنا بالله،أي:أشركنا به وجعلنا له مثلا،ومنه حديث علي رضي الله عنه: كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم(8)."والعدل:الحكم بالحق، يقال هو يقضي بالحق ويعدل ،وهو حكم عادل ذو معدلة في حكمه. ورجل عدل، بين

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- كتاب العين- 2 /38 - دار ومكتبة الهلال- تأليف : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي

تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي........... 2- : المطلع على أبواب الفقه- 408 – الطبعة الأولى- المكتب الإسلامي – بيروت- لبنان-1401هـ1981م-

المؤلف : محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله - تحقيق : محمد بشير الأدلبي. 3- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة- 73- الطبعة الأولى- دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان-1411هـ1991م-

المؤلف : زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى - تحقيق : د. مازن المبارك 4- التوقيف على مهمات التعاريف- 506 - الطبعة الأولى- دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان- دار الفكر دمشق-سوريا 1410هـ1990م- المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق : د. محمد رضوان الداية 5- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي2 / 396- المكتبة العلمية - بيروت - لبنان المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي 6- مختار الصحاح – 176 7- نـفســـه- 176- ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر- 3 / 418-الطبعة الأولى- المكتبة العلمية - بيروت 1399هـ1979م- المؤلف :أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي 8- النهاية في غريب الحديث والأثر- 3 / 418 ..

العدل والعدالة، وصف بالمصدر معناه ذو عدل. كما قال تعالى: (( وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ

عَدْلِ مِنْكُمْ )). وقال:(( يَحْكُمْ بِهِ ذَوَا عَدْلِ مِّنْكُمْ ))(1)." والتعديل: وهي قسمة الشيء بإعتبار القيمة الجزء الأعظم في قيمته ومنفعته، وعَدَّلْتُ الشاهد: نسبته إلى العدالة و وصفته بها(2).

ثـــانيا : تعريف العدل في الإصطلاح :ـ

" العدل أحد أسماء الله تعالى، هو الَّذي لا يَمِيل به الهَوَى فيَجُور في الحُكْم وهو في الأصْل مصدر سُمِّي به فوُضع موضعَ العَادِل وهو أبلغ منه لأنه جُعِل المُسَمَّى نفسُه عَدْلا (3).

"والعدالة لفظ يقتضى ذكر المساواة ولا يستعمل إلا بإعتبار الإضافة، وهي في التعاريف إذا إعتبرت بالقوة هيئة في الإنسان يطلب بها المساواة، وإذا إعتبرت بالفعل فهي القسط القائم على الإستواء، وإذا وصف الله تعالى بالعدل فليس يراد به الهيئة، وإنما يراد به أن أفعاله واقعة على نهاية الإنتظام. والإنسان في تحري فعل العدالة يكون تام الفضيلة،إذا حصل مع فعله هيئة متنزه لتعاطيه، وقد يقع فعل العدالة من الإنسان ولا يكون ممدوحا به نحو: أن يقسط مراءاة أو توصل إلى نفع دنيوي أو خوف عقوبة السلطان(4).

والعدالة في اللغة: الإستقامة، وفي الشرع: عبارة عن الإستقامة على طريق الحق بالإجتناب عما هو محظور دينا(5). فهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط،وفي إصطلاح النحويين:خروج الإسم عن صيغته الإصلية إلى صيغة أخرى وفي إصطلاح الفقهاء: من إجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر وغلب صوابه

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- لسان العرب – 11/ 430- الطبعة الأولى- دار صادر- بيروت- لبنان- المؤلف : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، الإفريقي ثم المصري إبن منظور ( 630 ـ 711 هـ) 2- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي2 / 396

3- النهاية في غريب الحديث والأثر-3/ 418- الطبعة الأولى- المكتبة العلمية- بيروت-1399هـ1979م-

المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي 4- إلى مكارم الشريعة ـ 183 ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ المصرـ 1393هـ 1973م- تأليف: الشيخ الإمام ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ـ راجعه : طه عبدالرؤوف سعد . 5- التعريفات – 191 - الطبعة الأولى- دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان- 1405هـ1985م- تأليف:علي بن محمد بن علي الجرجاني- تحقيق : إبراهيم الأبياري.....

وإجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق وغيره..(1).وكتب عبدالملك إلى سعيد بن جبير يسأله عن العدل فأجابه : أن العدل على أربعة أنواع : العدل في الحكم، قال الله تعالى : (( وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ))(2) ، والعدل في القول ، قال الله عزوجل: (( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ))(3)،والعدل الفدية، قال سبحانه:(( وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ))(4) والعدل في الإشراك، قال تعالى:(( ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ))(5) أي:يشركون(6).

والعدالة تارة يقال : هي الفضائل من حيث لا يخرج شيئ من الفضائل عنها ، وتارة يقال هي أجمل الفضائل من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها في نفسه وغيره، وهي ميزان الله المبرأ من كل زلَّة، وبها يستتب أمر العالم . و لذلك قال الله عزوجل:(( اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ))(7). وقوله:((وَالسَّمَاءرَفَعَهَاوَوَضَعَ الْمِيزَانَ ))(8) عبّرعن العدالة بالميزان،إذ كان من اثرهاومن أظهرأفعالها الخاصةوقال النبيّ صلى الله عليه وسلم"بالعدل قامت السماوات والأرض،أي لوكان الشيئ من موجودات العالم وأصولها زائدا على الآخرو نقصا عنه لم يكن منتظما هذا النظام، ومن فضله أن الجور الذي هو ضده لا يتسبب إلا به(9).

وقيل العدل مصدر بمعنى العدالة، وهو الإعتدال والإستقامة وهو الميل إلى الحق(10). " وقيل العدل: هو عبارة عن أن يكون ذوالأمر والسلطان مانعا كل فرد من رعيته من الجور والإعتداء، لأنه يدع على الألفة ويبعث على الطاعة والتنعم به

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- التعريفات - 191- ينظر: تاج العروس-7305- و : - التوقيف على مهمات التعاريف – 507 2- سورة المائدة - جزء من الآية 42 3- سورة الأنعام – جزء من الآية 152 4- سورة البقرة - جزء من الآية 123 5- سورة الإنعام - جزء من الآية 1 6- لســــان العرب – 11 / 431 ، 432. 7- سورة الشورى – جزء من الآية 17 . 8- سورة الرحمن – 7 . 9- إلى مكارم الشريعة – 183. 10- التعريفات للجرجاني – 192 – ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف – 507

الأرض وتنمو به الأموال ويكثر معه العمران ويعم معه الأمان(1)."والعدل وضع الشيء في محله اللائق به شرعا وعرفا، وهو يشمل كل فعل جميل جناني ولساني، قال بعضهم : العدل أصل لجميع الأخلاق الحميدة، فكلها متفرعة عنه، وما ورد في ذم الظلم مدح للعدل وعكسه، فالعدل مدح بلسانين، لسان التنصيص على فضله ، ولسان التنصيص على ذم ضده(2).

" والعدالة تقتضي ثلاثة أمور وهي ، أولا: إجتناب الكبائر التي تعود الله عليها بحدّ في الدنيا كالزنا وشرب الخمر، أو بعذاب في الآخرة كالربا وأكل مال اليتيم. ثانيا:عم الأصرار على صغيرة من الصغائر، كانظرة إلى المحرمة والغيبة والسكوت عليها والكذب الذي لاضررفي ولا حدّعليه. ثالثا : الإبتعاد عن كـل ما يخــل بمــروءة وأمثاله وكرامة الفئــة التـي يـنتمي إليها(3).

"فالله سبحانه وتعالى" عدل ، معناه: العادل وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم ، ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ، ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله(4). "وإنما سمي العدل والعادل لأنهما عدلاعن الجور إلى القصد ، والله تعالى عادل في أحكامه وقضاياه عن الجور، فأفعاله كلها حسنة(5). "فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علما بإفعال الله تعالى من ملكوت السموات إلى منتهى الثرى(6).........

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- فيض القدير شرح الجامع الصغير- 4 / 378 - الطبعة الأولى - : المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة- مصر-1356هـ1946م- تأليف : عبد الرؤوف المناوي - مع الكتاب : تعليقات يسيرة لماجد الحموي

2- المصــــدر نفســــــه – 4 / 379 –

3- نظام القضاء الإسلامي- 212 - الطبعة الأولى ـ 1410 هـ 1989 م- الدكتور إسماعيل إبراهيم البدوي ، أستاذ في كلية الشريعة والقانون بالقاهرة(جامعة الأزهر) والمعار إلى كلية الشريعة والدراسات الأسلامية في جامعة الكويت 4- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى- 98- الطبعة الأولى - الجفان والجابي – قبرص 1407هـ1987م- المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد- تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي

5- تفسير أسماء الله الحسنى – 44 – الطبعة الأولى - دار الثقافة العربية - دمشق – سوريا –1394هـ 1974م

المؤلف : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد - تحقيق : أحمد يوسف الدقاق

6- المصــــدر الســـابق نفســه – 98

المطلب الثاني : فضل العدل ومكانته في القرآن والسنة .

العدل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، موضوع مهتم به كثيرا كما بين لنا من خلال آيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، والمسلمون مأمورون بالقيام بالعدل فيما بينهم ثم فيما بين الناس بشكل عام بدون إختلاف، لأن الإسلام دين الرحمة والبركة والعدل والمساوات والقسط، فهو يرد بكل قوة الظلم والجور والتعدي الذي هو نقيض للعدل ، و يعاقب بشدة كل من ترك سبيل العدل وأخذ بطريق الظلم والجور.

" لأن لله سبحانه وتعالى ارسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذى به قامت السموات والأرض، فإذا ظهرت إمارات العدل وتبين وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وعلاماته في شيء ونفي غيرها من الطرق التي هي مثلها أو أقوى منها ، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصودة إقامة العدل وقيام الناس بالقسط فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين(1). يقول سبحانه وتعالى : ((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً))(2)."هذه هي تكاليف الجماعة المسلمة، وهذا هو خلقها، أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل على منهج الله وتعليمه(3). يأمركم الله سبحانه وتعالى "أن تحكموا بالإنصاف والسوية أو متلبسين بذلك إذا قضيتم بين الناس ممن ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم(4)." فأما الحكم بالعدل بين الناس، فالنص يطلقه هكذا عدلا شاملا بين الناس جميعا، لا عدلا بين المسلمين بعضهم مع بعض فحسب، ولا عدلا مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل الناس،بوصفه إنسانا، فهذه الصفة هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعا، مؤمنين وكفارا، أصدقاء وأعداء، سودا وبيضا،عربا وعجما، والأمة المسلمة

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- بدائع الفوائد – 3 / 674 - الطبعة الأولى- مكتبة نزارمصطفى الباز- مكة المكرمة – 1416هـ1996م- تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم – تحقيق :هشام عبد العزيزعطا- عادل عبد الحميد العدوي-أشرف أحمد الج

2- ســـــورة النســــاء – 58

3- فــي ظلال القرآن – 2 / 288

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 5 / 64 – ينظر: تفسير النسفي – 4 / 99 –

و: تفسير البيضاوي – 255- و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبي السعود – 2 / 193

قيمة على الحكم بين الناس بالعدل، متى حكمت في أمرهم، هذا العدل الذي لم تعرفه

البشرية قط، في هذه الصورة إلا على يد الإسلام، وإلا في حكم المسلمين، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية، والذي أفقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة، فلم تذق له طعما قط، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعا لأنهم أناس،لا لإي صفة أخرى زائدة عن هذا الأصل الذي يشترك فيه الناس، وذلك هو أساس الحكم في الإسلام(1). فالله تعالى أرسل رسله على مدار القرون والأجيال إلى الأمم والأقوام لكي يقوم بين الناس بالقسط، (( لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ))(2)." قال قتادة ومقاتل بن حيان :الميزان العدل والمعنى:أمرناهم بالعدل(3). "فكل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزانا ثابتا ترجع إليه البشرية، هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو ضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والإضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء و مضطرب العواصف، فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر، فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محابات،" ليقوم الناس بالقسط" فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهب الجهالات والأهواء(4). يبين لنا قيمة العدل تبيانا حينما أمر الله سبحانه نبيَّه داود عليه السلام بإقامته بين الناس، (( يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ...))(5). "وبه أمر كل نبيّ مرسل صلواة الله عيهم،لأن المقصود منهم إظهار العدل ورفع الظلم من الظالم وإيصال الحق إلى المستحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(6). كما أمربه نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، (( وَأٌمِرْتُ لِأُعْدِلَ بَيْنَكُمْ ))(7). "أي : أمرت لأسوي بينكم في الدين فأومن بكل

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- فــي ظلال القرآن – 2 / 689

2- ســـورة الحــديد – 25

3- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني – 5 / 251

4- فــي ظلال القرآن – 6 / 3494

5- ســـــورة ص – 26

6- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء- 228-

7- ســــورة الشـــورى – 15

كتاب وبكل رسول، والظاهر أن الآية عامة في كل شيء، والمعنى: أمرت لأعدل بينكم في كل شيء(1). ومثل هذه قوله تعالى: (( قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ))(2).القسط :العدل "ويقال القسط: مصدر المقسط، وهو العادل ، وأما القاسط فهو الجائر، وقال الفراء: القاسطون الجائرون، والمقسطون العادلون، وفي الأسماء الله الحسنى " المقسط"(3). ويخاطب الله عزوجل المؤمنين الذين أمنوا به وأمرهم بالقسط والعدل بين الناس ولو كان أحد المتخصمين هو نفسه او الوالدين والأقربين، بقوله: (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ))(4)."أنها أمانة القيام بالقسط، بالقسط على إطلاقه، في كل حال وفي كل مجال،القسط الذي يمنع البغي والظلم في الأرض، الذي يكفل العدل بين الناس، الذي يعطي كل ذي حق حقه من المسلمين وغير المسلمين،ففي هذا الحق يتساوي عندالله المؤمنون وغيرالمؤمنين و يتساوي الأقارب والأباعد،ويتساوي الأصدقاء والأعداء،و يتساوي الأغنياء والفقراء(5) ويقول سبحانه مثل هذه: (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ ))(6)." فبهذه المقوّمات في هذا الدين، كان الدين العالمي الإنساني الأخير، الذي يتكفل نظامه للناس جميعا معتنقيه وغير مقتنقيه،أن يتمتعوا في ظله بالعدل، وأن يكون هذا العدل فريضةعلى معتنقيه،يتعاملون فيها مع ربهم،مهما لاقوا من الناس من بغض وشنآن، وأنها لفريضة الأمة، القوّامة على البشرية مهما يكن فيها من مشقة وجهاد(7). "فإن حكم الله تعالى شامل لجميع الخلائق، وعلى كل من ولي أمراً من أمور الناس أو حكم بين إثنين أن يحكم بالعدل، فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الشرع المنزل من عندالله (8)."والقواميس الكونية كلها قائمة على العدل،فهي خالية ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني – 4 / 655

2- ســـورة الأعـــراف – 29

3- فتح الباري شرح صحيح البخاري- 13 / 539 – الطبعة الأولى- دار المعرفة – بيروت- لبنان- 1379هـ1959م-

تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

4- ســــورة النساء – 135

5- فــي ظلال القرآن – 2 / 775

6- ســـــــورة المـــائدة – 8

7- المصــدر السابق – 2 / 852

8- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية- 135 - مطبعة المدني – القاهرة – مصر- تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله إبن القيم الجوزي - تحقيق : د. محمد جميل غازي

من الجور، لأن هذا يعني الخلل والإضطراب ، وهي بذلك إنما تحمل أثرا من سمة

الخالق سبحانه، والأكثرمن هذا أنه عزوجل يأمر عباده بإلتزام العدل والحكم به مؤكدا أهميته(1). لك أن تقرأ في عدالة الإسلام أكثر من هذه الآيات الكريمة، ألتي تقوم بإنشاء هذا الركن العظيم، وتدعو إلى إقامته وتحث المؤمنين بالإلتزام به، والإجتناب عن أضداده وهو الظلم والجوروالإعتداء على غير."ولعلك بذلك تدرك عدالة التشريع الإسلامي في :(( أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ))(2).

بل جرت أحكامه على المساواة الكريمة لتكوين المجتمع الكريم، كل يحاسب على قدر سعيه وإحسانه في هذا السعي، على قدر ما تقدم لنفسه وأسرته ومجتمعه، من صالح يعود على الإنسانية خيره، لا فضل بين العربي على العجمي إلأ بالتقوى، وبمقدار ما يراقب الله في عمله حين يقدم للأمة الإنسانية خلاصة ما يستطيع من عمل حضاري نافع(3). "ومن الميثاق الذي واثق الله به الأمة المسلمة، القوّامة على البشرية بالعدل، العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودّة والشنآن، ولا يتأثرمع القرابة والمصلحة والهوى، في حال من الأحوال، العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات، والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور4). "والقرآن بكل كلماته إنما هو شاهد على العدل الإلهي،يدور الزمان وتتغير المجتمعات الإنسانية، ويبقى القرآن متكفلا بتحقيق العدل...(5).

والسنة المطهرة حالها كحال القرآن لا تخلو من ذكر العدل وفضائله الكريمة، ولا تخلو من وعد ووعيد للعادلين بالثواب ، وللظالمين والمعتدين بالعقاب والعذاب في الدنيا والآخرة.وردت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع،ونذكرأهم ماورد من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم،كماجاءفي صحيح مسلم،عن عبدالله بن عمروبن العاص رضي الله عنهما

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ1- أسماء الله وعلاقتها بالمخلوقات-297- الطبعة الاولى - مطبعة الأسد- بغداد- العراق-1404هـ1984م- شاكرعبد الجبار 2- ســــورة ص – 28

3- مع القرآن وآدابه ـ 266، 267- الطبعة الأولى ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ مصر-1386هـ1967م- تأليف :عبد الحسيب طه حميدة أستاذ الأدب العربي و وكيل كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر

4- فــي ظلال القرآن – 2 / 852

5- أسماء الله وعلاقتها بالمخلوقات-297

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا))(1). " المقسطون هم العادلون، والمراد بكونهم عن اليمين، الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعةوالعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان إلى اليمين وضده إلى اليسار أن هذا الفضل إنما هولمن عدل فيما تقلده من خلافة أوإمارة أو قضاءأو حسبة أو نظر على يتيم أوصدقة أو وقف وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك(2). وقد ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم الإمام العادل بين سبعة أطياف الذين يظلّهم الله في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه،في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال : (( سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: الإمام العادل، و شاب نشأ في عبادة الله،....))(3)."في ظلّه إمام عادل،هوكل من إليه نظرفي شيء من أمور المسلمين من الولاة والحكام، وبدأ به لكثرة منافعه وعموم نفعه(4)."وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا :(( اللهم من ولى من أمرأمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه و من ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به))(5)."هذا من أبلغ الزواجرعن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم(6) ." وعن إبن عمر رضي الله عنهماعن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( كلكم راع وكلكم مسؤول،فالإمام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ،والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة،والعبدراع على مال سيده وهومسؤول

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه مســـلم – 3 / 1458- كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل- رقم الحديث 1827. 2- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج -12 /211، 212- الطبعة الثانية- دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 1392هـ1972م - المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. 3- رواه البخاري – 2 / 517 –كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين- رقم الحديث 1357- ومسلم -2 / 715 –كتاب الزكاة باب فضل خفاء الصدقة- رقم الحديث 1031. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال : (سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عدل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.. 4- شرح السيوطي لسنن النسائي- 8 / 222، 223- الطبعة الثانية- مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – سوريا 1406هـ1986م- تأليف : عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي- تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة . 5- رواه مســلم – 3 / 1458 – كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل- رقم الحديث 1828 6- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج -12 / 213

ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول))(1). "وقال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته(2)." ومن حديث عائشة رضي الله عنها، أنها ذكر عندها القضاة فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط،وروى الشعبي مامن حاكم يحكم بين الناس إلا وكل به ملك آخذ بقفاه حتى يقف به على شفير جهنم فيرفع رأسه إلى الله فإن أمره أن يقذفه قذفه في مهوى أربعين خريفا))(3). " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة))(4). "وقال عمربن الخطاب رضي الله عنه ويل لديان من في الأرض من ديان من في السماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغب ولا رهب وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه(5). "وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إن أحب الناس إلى الله وأقربهم منه مجلسا يوم القيامة إمام عادل وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر))(6) "وقال إبن عيينة : إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور(7)." ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: أمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل ، الذي قد يكون فيه الاشتراك ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـ1- رواه البخاري- 5 / 1988- كتاب النكاح باب81- رقم الحديث 4892- ومسلم – 3 / 1459- كتاب الأمارة باب فضيلة الإمام العادل- رقم الحديث 1829 - 2- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج -12 / 213 3- إعلام الموقعين عن رب العالمين – 1 / 36، 37 – الطبعة الأولى- دار الجيل – بيروت- لبنان- 1393هـ1973م- تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - تحقيق : طه عبد الرءوف سعد 4- رواه البخاري 6 / 2614- كتاب الأحكام باب8 – رقم الحديث 6731- ومسلم – 3 / 1459- كتاب الأمارة باب فضيلة الإمام العادل- رقم الحديث 142 5- المصــــدر الســابق – 1 / 37 6- فضيلة العادلين من الولاة ومن أنعم النظرفي حال العمال والسعاة-126-رقم الحديث19-الطبعة الأولى-دارالوطن رياض السعودية-1418هـ1998م- تأليف:أحمد بن عبدالله بن أحمدبن إسحاق الأصبهاني أبو نعيم تحقيق:مشهوربن حسن أل سلمان 7- صفة الصفوة – 2 / 234 - الطبعة الثانية- دار المعرفة – بيروت- لبنان- 1399هـ1979م – تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، إبن الجوزي - تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.

في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وان لم يشترك في اثم، ولهذا قيل ان الله يقيم الدولة العادلةوان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام(1).

وقال الشاعر: تخاف على حاكم عادل ونرجو فكيف بمن يظلم

إذا جار حكم إمريء ملحد على المسلم فكذا المسلم

وقال آخر: إصبر على الظلم ولاتنتصر فالظلم مردود على الظالم

وكّـــِلْ إلى الله ظلــوما فمـا ربــي عن الظالـم بالنــائم.....(2).

" ان العدل نظام كل شيء فإذا اقيم امر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الأخرة من خلاق ومتى لم تقم بالعدل لم تقم وان كان لصاحبها من الايمان ما يجزي به في الاخرة(3)."وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن في الجنة درجة لا يبلغها إلا إمام عادل أو ذو رحم وصول أو ذو عيال صبور فقال له علي يا رسول الله ما صبر ذي العيال قال: لا يمن على أهله ما ينفق عليهم))(4)." ويقول الإمام إبن القيم رحمه الله: العدل أحد الدرجات السبع في المجتمع وبه سبق الصحابة وأدركوا من قبلهم وفاتوا من بعدهم وهم أعدل الأمة فيما ولوا، ولا يحكم إمام ولا حاكم بعدل وهدى إلا كانوا هم السبب في وصولهم إليه فهم الذين فتحوا البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمروا البلاد بالعدل والقلوب بالعلم والهدى(5)." فمن عدل في ولاية من هذه الولايات وساسها بعلم وعدل وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان فهو من الأبرار العادلين ومن حكم فيها بجهل وظلم فهو من الظالمين المعتدين(6).فهذ الآيات والأحاديث وغيرها بكثير تدل على وجوبية العدل والمساواة في كل مجال ، وتحريـــم الظلم والجور في كل زمان ومكان ..........

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الإســـتقامة – 2 / 246، 247

2- الآداب الشرعية والمنح المرعية – 1 / 142

3-- الإســـتقامة – 2 / 247 ، 248

4- فضيلة العادلين من الولاة ومن أنعم النظرفي حال العمال والسعاة-133 – رقم الحديث 25

5- طريق الهجرتين وباب السعادتين – 537- الطبعة الثانية- دار ابن القيم – الدمام-1414هـ1994م-

المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، إبن القيم- تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر 6- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية- 348-

المطلب الثالث :ـ

كمال العدل الإلهي في الكون ونهيه سبحانه عن الظلم والجور.

" إن الله سبحانه وتعالى قادر وعادل،ظهرت قدرته في صناعته الباهرة، وتجلى عدله في نظام الكون البديع،وأن العدل الإلهي لمن أبين صفات الله تعالى القدسية التي ثبتت بالأدلة التفصيلية اليقينية،وأن آثار تلك الصفات لواضحة في جميع الكائنات(1)."و الله سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل وهو الحق،يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له راض به آمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه، بل ينزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه، وهم المجاوروه عن يمينه على منابر من نور، وأمره بالعدل: يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما(2).كما في الحديث الصحيح "عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (( ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ،وجلاء حزني،وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا، قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها))(3)." فتضمن هذا الحديث العظيم أمورا من المعرفة والتوحيد والعبودية،"منها قال :عدل في قضاؤك أي: الحكم الذي أكملته وأتممته ونفذته في عبدك عدل منك فيه، واما الحكم :فهو ما يحكم به سبحانه وقد يشاء تنفيذه وقد لا ينفذه، فان كان حكما دينيا فهو ماض فى العبد، وان كان كونيا فان نفذه سبحانه مضي

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- العدل الإلـهي وأين أثره في المخلوقات- 15- الطبعة الأولى ـ مطبعة المقتطف والمقطم ـ 1349هـ 1929 م- تألسف : حسن حسين ـ

2- الأمثال في القرآن الكريم – 23- الطبعة الأولى- مكتبة الصحابة – طنطا-1406هـ1986م- تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، إبن القيم - تحقيق : إبراهيم بن محمد

3- رواه أحمد-1 / 391 – رقم 3712- وإبن حبان : 3/253- رقم 972 .قال الألباني: حديث صحيح. ينظر:شرح العقيدة الطحاوية ـ 110- الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي- بيروت ـ لبنان - 1414هـ 1994م- محمد ناصر الدين الألباني -

فيه وإن لم ينفذه اندفع عنه، فهو سبحانه يقضى ما يقضى به وغيره قد يقضي بقضاء ويقدر أمراً ولا يستطيع تنفيذه ،وهو سبحانه يقضي ويمضى فله القضاء والامضاء، وقوله عدل فى قضاؤك : يتضمن جميع أقضيته فى عبده من كل الوجوه من صحة وسقم وغني وفقر ولذة وألم وحياة وموت وعقوبة وتجاوز وغير ذلك(1)." فقضاؤه هو أمره الكوني،"فإنما أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون"فلا يأمر بحق وعدل وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل وإن كان في المقضي المقدر ما هو جور وظلم، فإن القضاء غير المقضي والقدر غير المقدر، ثم أخبر سبحانه (( هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ))(2). وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالعدل ولا يفعل إلا ما هو مصلحة وحكمة وعدل(3).

" أن حكم الرب تعالى ماض في عبده، وقضاؤه عدل فيه،ومن لم يرض بالعدل فهو من أهل الظلم والجور، وقوله : عدل في قضاؤك، يعم قضاء الذنب وقضاء أثره وعقوبته فإن الأمرين من قضائه عز وجل وهو أعدل العادلين في قضائه بالذنب وفي قضائه بعقوبته. أما عدله في العقوبة : فظاهر، وأما عدله في قضائه بالذنب : فلأن الذنب عقوبة على غفلته عن ربه وإعراض قلبه عنه فإنه إذا غفل قلبه عن ربه ووليه ونقص إخلاصه ، استحق أن يضرب بهذه العقوبة ، لأن قلوب الغافلين معدن الذنوب والعقوبات، واردة عليها من كل جهة ،وإلا فمع كمال الإخلاص والذكر والإقبال على الله سبحانه وتعالى وذكره ، يستحيل صدورالذنب(4).كما قال تعالى: (( كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ))(5) ." وهو سبحانه وإن كان أجود الأجودين و أرحم الراحمين و أكرم الأكرمين، فإنه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين لا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، ولا يناقض جوده ورحمته وفضله حكمته وعدله(6)." ويقول في شفاء العليل: وليس المراد بالعدل ما يقوله الجبرية أنه الممكن

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الفوائد- 24- الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان - 1393 هـ1973م-

تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله

2- ســــــورة النحــــل – 76

3- الأمثال في القرآن الكريم – 23

4- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- 2 / 212، 213- الطبعة الثانية - دارالكتاب العربي- بيروت- لبنان 1393هـ1973م- المؤلف :محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، إبن القيم- تحقيق : محمد حامد الفقي

5- سورة يوسف – 24 6- طريق الهجرتين وباب السعادتين – 170

فكل ما يمكن فعله بالعبد فهوعندهم عدل والظلم هو الممتنع لذاته فهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الأسباب والحكم ولاالمراد به ما تقوله القدرية النفاة أنه إنكار عموم قدرة الله ومشيئته على أفعال عباده وهدايتهم وإضلالهم وعموم مشيته لذلك وأن الأمر إليهم لا إليه،وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم" ماض في حكمك عدل في قضائك " كيف ذكر العبد في القضاء مع الحكم النافذ ، وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرية والجبرية فإن العدل الذي أثبتته القدرية مناف للتوحيد معطل لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته والعدل الذي أثبته الجبرية مناف للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل (1). والعدل الذي هو اسمه وصفته ونعته سبحانه خارج عن هذا وهذا ولم يعرفه إلا الرسل واتباعهم ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه: (( إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ))(2). فأخبر عن عموم قدرته ونفوذ مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء ثم أخبر أنه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم وقال أبو إسحاق أي هو سبحانه وأن كانت قدرته تنالهم بما شاء فإنه لا يشاء إلا العدل (3)." وصعب على هؤلاء الجمع بين العدل وبين القدر، فزعموا ان من أثبت القدر لم يمكنه ان يقول بالعدل، ومن قال بالعدل لم يمكنه ان يقول بالقدر،كما صعب عليهم الجمع بين التوحيد وإثبات الصفات،فزعموا انه لا يمكنهم اثبات التوحيد الا بانكار الصفات، فصار توحيدهم تعطيلا وعدلهم تكذيبا بالقدر(4)." ومن ذلك لفظ العدل جعلته القدرية إسما لإنكار قدرة الرب على أفعال عباده وخلقه لها ومشيئته، فجعلوا إخراجها عن قدرته ومشيئته، وخلقه هو العدل، وجعل سلفهم إخراجها عن تقدم علمه وكتابته من العدل،وسموا أنفسهم بالعدلية وعمدوا إلى إثبات عموم قدرته على كل شيء من الأعيان والأفعال وخلقه لكل شيء، وشمول مشيئته له فسموه حيزا، ثم نفوا هذا المعنى الصحيح وعبروا عنه بهذا الاسم المنكر وأثبتوا ذلك المعنى الباطل وعبروا عنه بالاسم المعروف ثم سموا أنفسهم أهل العدل

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- 86 – الطبعة الثانية- دار الفكر - بيروت ، 1398هـ1978م -

تأليف : الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، إبن القيم - تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي

2- ســــورة هـــود – 56

3- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - 87

4- الفوائد لإبن القيم الجوزي – 24 ، 25

والتوحيد، وسموا من أثبت صفات الرب وأثبت قدره وقضاءه أهل التشبيه والجبر،و كذلك فعل الرافضة سواء سموا موالاة الصحابة نصبا، ومعاداتهم موالاة لأهل بيت رسول الله،وكذلك المرجئة سموا من قال في الإيمان بقول الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال أنا مؤمن إن شاء الله شكاكا.

وهكذا شأن كل مبتدع وملحد وهذا ميراث من تسمية كفار قريش لرسول الله وأصحابه الصبأة، وصار هذا ميراثا منهم لكل مبطل وملحد ومبتدع يلقب الحق وأهله بالألقاب الشنيعة المنفرة(1)."وأما أهل السنة فهم مثبتون للأمرين والظلم عندهم هووضع الشيء فى غير موضعه، كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له، وهذا قد نزه الله نفسه عنه فى غير موضع من كتابه وهو سبحانه وان أضل من شاء وقضي بالمعصية والغى على من شاء فذلك محض العدل فيه، لانه وضع الإضلال والخذلان فى موضعه اللائق به، كيف ومن أسمائه الحسني العدل الذي كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق، وهو سبحانه قد أوضح السبل وأرسل الرسل وأنزل الكتب وأزاح العلل ومكن من أسباب الهدايةوالطاعة بالاسماع والأبصاروالعقول وهذا عدله، ووفق من شاء بمزيد عناية و أراد من نفسه أن يعينه ويوفقه فهذا فضله وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله وخلى بينه و بين نفسه و لم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه فقطع عنه فضله ولم يحرمه عدله(2)."ويقول سبحانه: (( وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ ))(3).

" فقرر أن ما أخبر به فهو صدق ، وما أمر به فهو عدل ، وهذا يبين أن ما في النصوص من الخبر فهو صدق علينا أن نصدق به، لا نعرض عنه، ولا نعارضه، ومن دفعه أوعارضه بعقله لم يصدق به،ولو صدقه تصديقا مجملا ولم يصدقه تصديقا مفصلا في أعيان ما أخبر به لم يكن مؤمنا،ولو أقر بلفظه مع جحد معناه أو حرفه إلى معان أخر غير ما أريد به لم يكن مصدقا بل هو إلى التكذيب أقرب(4)." ولما أصلت القدرية أن الله سبحانه لو شاء أفعال عباده وقدرعليهاوخلقها ثم كلفهم بهاوعاقبهم عليها لكان ذلك ظلما ينافي العدل، لزمهم عن هذا الأصل لوازم مخالفة للعقل والشرع، منها

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – 3 / 949, 950 - الطبعة الثالثة- دار العاصمة – الرياض- السعودية- 1418هـ1998م- تأليف: الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله- تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله

2- الفــــوائـــد – 25

3- ســــورة الأنعـــام – 115 4- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – 3 / 1045

التكذيب بقدر الله، وتكذيب غلاتهم بعلمه السابق، وإنكار كمال قدرته ونسبته إلى أن يكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء مالا يكون(1)."والمقصود أن قوله ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، رد على الطائفتين القدرية الذين ينكرون عموم أقضية الله فى عبده ويخرجون أفعال العباد عن كونها بقضائه وقدره ويردون القضاء الى الأمر والنهى وعلى الجبرية الذين يقولون كل مقدور عدل فلا يبقى لقوله عدل فى قضاؤك فائدة فان العدل عندهم كل ما يمكن فعله والظلم هو المحال لذاته(2). كما تقدم، "إن التوحيد الذي دعا إليه هؤلاء الملاحدة وذكروا أنه التوحيدالحق هومن أعظم الإلحادفي أسماء الرب وصفاته وأفعاله،وهوحقيقة الكفربه، وتعطيل العالم عن صانعه،ومعلوم أن هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول فيما أخبر به عن الله،وجحده فاستعار له أصحابه اسم التوحيد وقالوا نحن الموحدون،كما استعار المنكرون للقدر اسم العدل بجحده ودفعه وقالوا نحن أهل التوحيد والعدل، فهذا توحيدهم وهذا عدلهم،والعدل والتوحيد الذي جاء به الرسول خلاف هذا وهذا(3).كما قال الله تعالى:(( شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَإِلَـهَ إِلاَّ هُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ،إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ))(4)." وذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إلى،أن عدل الله عز وجل لا يدرك بالعقول فلأجل ذلك كان من حمله على عقله جوره(5). هذا ما أوردناه في عدل الله سبحانه في أعماله وشؤون الكون وعباده، جزء قليل من كمال عدله وقدرته، فعدالته سبحانه عدالة مطلقة بكل مقاييس في كل جوانب الحياة،"وأن الله سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله خيره وشره حلوه ومره فعله وجزائه(6)." وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما أمر إذ ليس في أفعاله عبث ، ولا في أوامره سفه ، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة وكل واحدمن ذلك يستوجب الحمد والثناءوالمحبة

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – 3 / 1045

2- الفــــوائــــد- 25،26

3- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – 3 / 1111، 1112

4- ســـــورة آل عمران – 18 ، 19

5- العقيدة رواية أبي بكر الخلال- 115 - الطبعة الأولى - دار قتيبة - دمشق – سويا-1408هـ1988م

المؤلف :الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله- تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان

6- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- 87

عليه وكلامه كله صدق وعدل وجزاؤه كله فضل وعدل فإنه إن أعطى فبفضله ورحمته ونعمته وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته :

ما للعباد عليه حق واجب ........ كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ........ فبفضله وهو الكريم الواسع(1).

"وأنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء قادر على كل شىء عدل لا يجوز عليه الظلم والجور، حكيم لا يجوز عليه العبث(2).

وأما الظلم، فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الظلم، وحرمه وأبعده على نفسه،بكل حاله وبكل أنواعه. " لأن الظلم يدعو الى الشرك والفاحشة،فان الشرك اظلم لظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد، فالعدل قرين التوحيد والظلم قرين الشرك، ولهذا يجمع سبحانه بينهما في كتابه العزيزفي قوله:(( شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ))(3)، وكقوله تعالى : (( إنَّ الشِّرْكَ لَظُلمٌ عَظِيمٌ ))(4). والفاحشة تدعو الى الشرك والظلم ولا سيما اذا قويت ارادتها ولم تحصل الا بنوع من الظلم بالظلم والاستعانة بالسحر والشيطان(5).

" فالظلم هو الإنحراف عن العدالة ، ولذلك حد بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص، والإنحراف عنه في بعض جوانبها جور، والظلم أعلم الأسماء(6)." وقال بعض العلماء : شر الناس من جارعلى نفسه، ثم من جارعلى ذويه ، ثم من جار على كافة الناس، وأفضلهم من عدل مع كافة الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه، وهذا قول أورد بنظرعلمي، فإن الظالم لا يكون ظالما لغيره حتى يكون ظالما لنفسه، فإن أول مايهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فإذا الظالم أبدأ مبتدأً بنفسه بالظلم،والعادل في الناس إذا همَّ بالعدل وتحراه فقدعدل مع نفسه قبل ان يعدل مع غيره(7).وقد وردت آيات وأحاديث

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- طريق الهجرتين وباب السعادتين – 470

2- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان- 2 / 341 - الطبعة الثانية- دار المعرفة – بيروت- لبنان-1395هـ1975م-

تأليف : الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله إبن القيم - تحقيق : محمد حامد الفقي

3- ســــورة آل عمران – 18

4- ســــورة لقمـــان – 13

5- الفــــوائـــد- 81

6- إلى مكارم الشريعة ـ 187 - الطبعة الأولى ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ المصرـ 1393هـ 1973م ـ تأليف : الشيخ ابي القاسم الحسين بن محمد إبن المفضل الراغب الأصفهاني ـ راجعه : طه عبدالرؤوف سعد 7- المصــــدر نفســـــه – 187 ، 188

كثيرةفي ذم الظلم والظالم وسوءعاقبته وعقابه في الدنيا والآخرة.وحذّرالشارع الجميع

وأمرنا أن نبتعد عن الظلم والجور." و يلفت الله سبحانه وتعالى أنظارنا إلى عاقبة

الظالمين،الذين أبادهم ودكّ عروشهم وكسرظهورهم وأرغم أنوافهم،بقوله:(( فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ))(1). هذا في الدنيا ((وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ))(2). والذي يقلب صفحات التأريخ يرى كيف عاقب الله تعالى الظالمين على مرِّالدهروكرِّالعصور، فخيب آمالهم وبدّد جمعهم وكان عاقبة أمرهم خسرا(3).فقال تعالى: (( مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ))(4). وقوله : (( وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ))(5). فالظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، ولهم أشد العذاب حيث تعجّل الله سبحانه بها في الدنيا ، لأن الظلم هو مجاوزة الحد والتعدي على خلق الله،و يقول سبحانه:(( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ))(6)."أن الله سبحانه يكره الظلم والفواحش والفساد في الأرض ويمقت فاعل ذلك ويحب العدل والإحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويحب فاعل ذلك(7).

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(( من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين))(8). وعن أبي ذرّ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيما يروي عن ربه عزوجل،في حديث قدسي أنه قال: (( يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا....))(9). ويقول النووي في شرح هذا الحديث: قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، كيف يجاوزسبحانه حدا وليس فوقه من يطيعه ،.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســـــورة العنــــكــبوت- 40

2- ســـــورة طه – جزء من الآية 127

3- صحيح وصـــايا الرســــول – 3 / 137

4- ســـــورة الغـــأفر – جزء من الآية 18

5- ســـــورة الحــــج – جزء من الآية 71

6- ســـــورة الشــعــراء – جزء من الآية 227

7- الفـــــوائــــد – 130

8- رواه البخاري – 2/ 866- كتاب المظالم باب إثم من ظلم شيئا من الأرض- رقم الحديث2320- ومسلم : 3/ 1231- كتاب المساقات، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها- رقم الحديث1612. 9- رواه مسلم – 4 / 1994- كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم – رقم الحديث 2577

و كيف يتصرف في غير ملك والعالم كله في ملكه وسلطانه، واصل التحريم في اللغة

المنع ،فسمي تقدسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع في اصل عدم الشئ، وقوله "

وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " أي لا تتظالموا والمراد لا يظلم بعضكم بعضا(1).

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ))، قال ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد.هود 102))(2). وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))(3)." بمعى أنه يورث ظلمة في القلب فإذا أظلم القلب تاه وتحيروتجبرفذهبت الهداية والبصيرة فخرب القلب فصار صاحبه في ظلمة " يوم القيامة " فالظلمة معنوية لما كان الظلم مفضيا بصاحبه إلى الضلال الذي هوضد الهدىوجمعهادلالةعلى إرادة الجنس اختلاف أنوار الظلم الذي هوسبب لأنواع الشدائد في القيامة من الوقوف في العرصات والحساب والمرور على الصراط وأنواع العقاب في النار(4).

وعن جابربن عبدالله قال: لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال: (( ألا تحدثوني بأعاجيب مارأيتم بأرض الحبشة ؟ )) قال فتية منهم: بلى يارسول الله، بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها ، فخرت على ركبتيها ، فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم ياغدر إذا وضع الله الكرسي و جمع الأولين والآخرين ، و تكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا. قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(( صدقت صدقت . كيف يقدس الله أمة لايؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟ ))(5)." وعن

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – 16 / 132

2- رواه البخاري – 4 / 1726 – كتاب التفسير باب سورة هود- رقم الحديث 4409- ومســلم : 4 / 1997 - كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم – رقم الحديث2583

3- رواه مسلم – 4 / 1996 -كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم – رقم الحديث 2578

4- فيض القدير شرح الجامع الصغير – 1 / 134

5- رواه ابن ماجــه – 2 / 1329 – كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - رقم الحديث 4010- قال الشيخ الألباني : حديث حسن .

ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال: ((....واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب ))(1). وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إتق دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولوبعد حين))(2). "أي اجتنبوا دعوة من تظلمونه وذلك مستلزم لتجنب جميع أنواع الظلم على أبلغ وجه وأوجز إشارة وأفصح عبارة لأنه إذا اتقى دعاء المظلوم فهو أبلغ من قوله لا تظلم وهذا نوع شريف من أنواع البديع يسمى تعليقا، وقوله "لأنصرنك" أي: لأستخلصن لك الحق ممن ظلمك "ولو بعد حين" أي: أمد طويل، بل دل به سبحانه على أنه يمهل الظالم ولا يهمله(3).

ومثل هذا الحديث أيضا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(( اتقوا دعوات المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار))(4)." كنايةعن سرعة الوصول لأنه مضطرفي دعائه، وكلما قوي الظلم قوي تأثيره في النفس، فاشتدت ضراعة المظلوم فقويت استجابته، والشرر ما تطاير من النار في الهواء شبه سرعة صعودها بسرعة طيران الشرر من النار(5). "وقيل إن الله لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤسهم إلى السماء وقالوا: يا ربّ مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتي يؤدي إليه حقه(6)." والأخذ على يد الظالم، وردّ الظلم عن المظلوم، واجب شرعي، يثاب الإنسان عليه، ويعاقب على تركه إن كان قادرا(7). يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ))(8)."وقال الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكارمن قلوبكم،لئلا تحبط أعمالكم الصالحة، فلابد من المفاصلة ، وهجر

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه البخــاري – 2/ 544 – كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء – رقم الحديث 1452- ومســـلم : 1 / 50 – كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام – رقم الحديث 19

2- رواه الطبراني في المعجم الكبير- 4 / 84 – بـــاب الخاء - رقم الحديث 3718 –صحيح بطرقه وشواهد عى تعليق شعيب الأرناوط

3- فيض القدير شرح الجامع الصغير – 1 / 142

4- المستدرك على الصحيحين- 1 / 83- كتاب الإيمان- رقم الحديث 81- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان 1411هـ1990م- المؤلف : الإمام محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري- تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا

5- فيض القدير شرح الجامع الصغير – 1 / 142

6- صحيح وصـــايا الرســــول – 3 / 140

7- المصـــــد نفســــــه – 3 / 144

8- ســــــورة هــــود – جزء من الآية 113

الظالمين ومقاطعتهم، وزجرهم فريضة دينية،وضرورة شرعية، فالزجر بالهجر ديانة ومن أحب قوما حشر معهم، ومن تشبّه بقوم فهو منهم(1).

" وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يخاف مع العدل، يا من يأمن مع العدول، رأى بعد موته بإثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلصت من حسابي، واعجبا أقيم أكثر من سني الولاية، أفينتبه بهذا راقد الهوى؟ أحسن شعائرالشرائع العدل، الظلم ظلمة في نهار الولاية، وجدب يرعى لحوم الرعية، والعجل صوت في صور الحيوية يبعث به موتى الجور(2). وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري،فقال:إني رجل أخيط ثياب السلطان، هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال السفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة: من يبيع منك الإبرة والخيوط ، وهذا قمة الورع ، فأين هذا النوع المبارك في هذه الأيام؟(3).

قال الشاعر: يــأيها الناس:

لا تظلمنّ إذا ماكنت مقتدرا .......... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منـتبه............ يدعو عليك وعين الله لم تنم(4) .

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- صحيح وصـــايا الرســــول – 3 / 143 ، 144

2- المدهش – 388 - الطبعة الثانية- دار الكتب العلمية - بيروت – لبنلن -1405هـ 1985م - المؤلف : الإمام أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي- تحقيق : د.مروان قباني

3- صحيح وصـــايا الرســــول – 3 / 143 ، 144

4- وردت هذه الأبيات في ديوان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ينظر ديوانه : 1/ 153- نقلا عن صحيح وصـــايا الرســــول – 3 / 139 -

المطلب الرابع :ـ

من أبرزما يدل عليه العدل في هذه الآية الكريمة: التوحيد :(( لا إله إلا الله ))

كما تقدم في تفسير هذه الآية الكريمة "إن الله يأمربالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى"

رأينا أن للعدل عند المفسرين معان عدة، ودلالات مختلفة، إلا أننا في هذا المطلب ننبه على أبرز ما يدل العدل في هذه الآية الكريمة، كما فسّر حبر الأمة وترجمان القرآن إبن عباس رضي الله عنه، وغيره، العـــدل : بالتوحيد،في قوله: " إن الله يأمر بالعدل" قال إبن عباس:شهادة (( لا إله إلا الله )) .وهي كلمة التوحيد. فلأجل هذه الكلمة المباركة، والعظيمة الشأن، إختصنا بها هذا المطلب، لأن كلمة " لا إله إلا الله" ومعرفتها هي أساس عقيدة المؤمن، وهي مفتاح الجنة وطريق النجات والخروج من الظلمات إلى النور. وبها نعرف صفات ربنا سبحانه وتعالى، ووظيفتنا تجاهه، وهي منهاج الحياة، وحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر، ومن أجلها جاءت الرسل، وأنزلت الكتب، وأسست الشرائع الإليهة،على مدار القرون والأجيال من الآدم إلى الخاتم عليهم السلام. ومن أجل ذلك، في هذا المطلب نتطلع بالإختصارعلى معنى التوحيد وأنواعه وشروطه ونواقضه بقدر ما يمكن بيانه ، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الموحدين له.

أولا: ماهو التوحيد وأنواعـــه ؟

فمعنى التوحيد " لا إله إلا الله " هو: " لامعبود إلا الله، وبذلك تنفي الألوهية عما سوى الله وتثبتها لله وحده(1)."والعلم بمعنى لا إله إلا الله فرض على كل مكلف ، كما يقول سبحانه: (( فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ))(2)."فالإله : هوالمعبود الذي يفزع إليه الخلائق في حوائجهم، فمعنى" لا إله إلا الله":أي لامعبود بحق إلا الله، ولا يلجأ العباد، ويضرعون ويفزعون في كل ما ينوبهم إلا إلى الله،وهوالذي تشتاق إليه وتميل إليه(3)."لاإله إلا الله هو جواز خروج الإنسان من خطيرة الكفر والشرك والإلحاد إلى حظيرة الإيمان

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم ـ 169- الطبعة الرابعة ـ دارالمعرفةـ بيروت ـ لبنان-1427هـ2007م - تأليف : الدكتورعلي محمدالصلابي 2- ســـــورة محمد – جزء من الآية 19 3- رسالة لا إله إلا الله مفتاح الجنة- 4- لفضيلة الشيخ د. ياسر بن حسين بن براهمي- شبكة العنكبوتية :موقع الدعوةالسلفية

omar\_raha184@hotmail.com

والتوحيد والإسلام،أي:لا إله غيره ولا ربّ سواه(1)."هوالبراءة من عبادة ماسوى الله

من شفعاء وأنداد، وإفراد الله بالعبادة، فهذا هو الهدى ودين الحق الذي أرسله الله به رسله وأنزل به كتبه(2)."كقوله سبحانه:(( وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ))(3)."هو إعلان التمردعلى الشيطان والهوى،وعبادة الله تتنافي مع عبادة الشيطان والهوى(4).كقوله تعالى: (( أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ )) (5)."وهو يقتضي إفراد الله بالطاعة و إفراد الرسول بالمتابعة، فإن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، وهذا أعظم ما يبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، لأنها تقتضي نفي الشرك(6)." وكلمة لا إله إلا الله تتضمن الكفر بالطاغوت في شقها الأول " لا إله" وهي نفي الإلوهية واستحقاق العبادة عن كل أحد دون الله، وتتضمن ألإيمان في شقها الثاني " إلا الله"(7)." ومن هنا كانت "لا إله إلا الله" ولاء وبراء، نفي وإثبات، ولاءٌ لله ولدينه وكتابه وسنة نبيه وعباده الصالحين، وبراء من كل طاغوت، وبراء من حكم الجاهلية وبراء من كل دين غير دين الإسلام(8). كقوله سبحانه:(( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ))(9).وقال أيضا:(( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ))(10). وقوله: (( وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ))(11). "فهي تقتضي السمع والطاعة من المسلم لله ربّ العالمين ، وإسلام القلب واللسان والجوارح لله وحده لا شريك له، و وضع المال والنفس بتصرف الله

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- منهاج الصالحين ـ 126 - الطبعة الثانية ـ دارالفتح ـ بيروت ـ لبنان ـ 1402 هـ 1982 م عزالدين بليق ـ

2- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – 113- الطبعة الأولى- مكتبة الرياض الحديثة – الرياض- السعودية-

المؤلف : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

3- ســــورة البـــقرة – 163-

4- منهاج الصالحين ـ 127

5- ســــورة يـــسين – 60 ، 61

6- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – 113

7- رسالة لا إله إلا الله مفتاح الجنة- 5 لفضيلة الشيخ د. ياسر بن حسين بن براهمي- شبكة العنكبوتية :موقع الدعوة السلفية

8- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم ـ 169

9- ســــورة البقــــرة - 256

10- ســـــورة المــــائدة – 50

11- ســــــورة آل عمران – 85

عزوجل(1). قال تعالى :(( قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ...))(2)." ثم هي نفي و إثبات، تنفي أربعة أمور وتثبت أربعة أمور، تنفي الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب، فالآلهة هي: ما قصدته بشيء من جلب خير أودفع ضر، فأتت متخذه إلها. والطواغيت: من عُبد وهو راض، أو رُشح للعبادة. والأنداد:ماجذبك عن دين إسلام،من أهل أومسكن أوعشيرة أومال فهونِد، لقوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ))(3).والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصدقا، لقوله تعالى:(( اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ ))(4). وتثبت أربعة أمور: القصد: وهو كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة، لقوله: (( وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ))(5). والخوف والرجاء والتقوى، ان يتقي سخط الله وعقابه، بترك الشك والمعاصي، وأخلاص العبادة لله وإتباع أمره على ما شرعه(6). ويقول الزركشي: قول" لا إله إلا الله" فيه، خاصيتان، أحداهما : أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من شفتين، والثاني: أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة من النقط،إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى(7). ويقول الشيخ محمد عبده رحمه الله :التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه ، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه وما يجوزأن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم ،أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبيّ كما تشهد به آيات

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- منهاج الصالحين ـ 127

2- ســـــورة الأنعـــام – 162 ،163

3- ســــورة البقـــرة – جزء من الآية 165

4- ســـــورة التـــوبة – جزء من الآية 31

5- ســـــــورة البقــــرة – جزء من الآية 165

6- ينظر : فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم ـ169، 170

7- معنى لا إله إلا الله – 82،83- الطبعة الأولى- دار الإعتصام – القاهرة- 1404هـ1985م – تأليف : محمد بن عبدالله بن بهادر أبو عبدالله بدر الدين الزركشي- تحقيق : علي محي الدين علي القره داغي

الكتاب العزيز(1). وكذلك يقول صاحب الإيضاح : " علم التوحيد علم يعنى بمعرفة الله تعالى والإيمان به ومعرفة ما يجب له سبحانه وما يستحيل عليه وما يجوز سائر ما هو من أركان الإيمان الستة ويلحق بها وهو أشرف العلوم وأكرمها على الله تعالى لأن شرف العلم يتبع شرف المعلوم لكن بشرط أن لا يخرج عن مدلول الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع العدول وفهم العقول السليمة في حدود القواعد الشرعية وقواعد اللغة العربية الأصيلة(2). ويقول الشوكاني رحمه الله:"التوحيد هو دين العالم أوله وآخره وسابقه ولاحقه ومن خالف في ذلك فجعل لله عز وجل شريكا وعبد الأصنام فإنه كما أرشد إليه القرآن حكاية عنهم بقوله ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مقر بأنه إيمان وإنما جعل الشريك وصلة إلى الرب سبحانه و وسيلة إلى التقريب إليه(3).

إذن " فليس التوحيد مجرد كلام يُقال أوأفكار تعتنق فحسب ، بل الإيمان علم وعمل ,عقيدة وشريعة ,فهوإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدرخيره وشره, وهو طاعة لله وإخلاص واتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانقياد , وهو حب لله وشوق له وخوف منه وحده ورجاء لفضله ,وهو دعاء وتضرع وخضوع واستسلام لله وحده وهو شكرللنعم وصبرعلى البلاء وعلى الطاعة وبُعد عن الشهوات. وهو صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد , وهو ذبح ونذر وحلف بالله وحده لا شريك له , وهو أكل الحلال وترك للحرام في المأكل والمشرب والملبس والمكسب , وهو برّالوالدين وصلة أرحام وإحسان إلى الجيران وحسن خلق مع كل الناس من وفاء بالعهد وأداء للأمانة وترك الغش ,وهو تحاكم إلى شرع الله والتزام به والرضا بحكمه , وهو غض للبصر وحفظ للفرج وحجاب وستر للعورة , وهو دعوة إلى الله ونصرة للدين وأمربالمعروف ونهي عن المنكر وإقامة الشرع في الأرض كلها , وهو إنتماء إلى حزب المؤمنين , حزب الله سبحانه وتعالى وترك أحزاب الضلال أتبْاع الشيطان. فهو إجمالاً أن الإنسان في

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رسالة التوحيد – 5- الطبعة الأولى - مطابع دار الكتاب العربي – 1386هـ 1966م – تأليف : الشيخ محمد عبده

2- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل – 7- الطبعة الأولى- دار السلام- 1410هـ1990م- المؤلف : محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة - تحقيق : وهبي سليمان غاوجي الألباني

3- إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات- 5- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان 1404هـ 1984م – تأليف : محمد بن علي الشوكاني - تحقيق : جماعة من العلماء

كل أموره حنيفاً لله ,أي متوجهاً إليه , متقرباً إليه على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم(1).كما يقو سبحانه:(( فأقمْ وجْهكَ لِلدِّين حَنيفًا فطْرةَ اللَّهِ الَتي فَطَرَ النَّاس علَيها لا تَبْديل لخلق اللَه ذلك الدِّينُ الْقَيِّمُ ولَكنَّ أَكْثر النَّاس لا يَعْلَمُونَ ))(2).من أجل ذلك " كان هذا التوحيد أول الدين وآخره، وباطنه مظاهره، ومن أجله خلقت الخليقة، كما يقول سبحانه:(( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ))(3).ويقول شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله:"هذا التوحيدهوالفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة،فمن لم يأتِ به كان من المشركين(4). " ومن هذا كانت شهادة أن "لا إله إلا الله: متضمنة لجميع أنواع التوحيد، فمعناها المباشر توحيد الله فألوهيته، الذي يتضمن توحيدالله في ربوبيته وأسمائه وصفاته(5).

وأما أنواع التوحيد، " فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة : في ربوبيته وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته،ومعنى توحيده في هذه الأمور إعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا ربّ غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكمال في صفاته وأسمائه ولا كامل غيره .

أولا: توحيد الربوبية : ومعناه الإجمالي الإعتقاد بأن الله ربّ كل شيء،ولا ربّ غيره، فتوحيد الله في الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه هو خالق الخلق، ومالكهم ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم، ومجيب دعائهم عند الإضطرار، والقادر عليهم ومعطيهم ومانعهم وله الخلق،وله الأمر كله(6). كقوله سبحانه:(( أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ))(7). " وبعبارة أخرى فإن هذا التوحيد معناه : الإقرار بأن الله عزوجا هو الفاعل المطلق في الكون، بالخلق والتدبير والتغيير والتسيير والزيادة والنقص ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رسالة لا إله إلا الله مفتاح الجنة-3،4- لفضيلة الشيخ د.ياسر بن حسين بن براهمي-شبكة العنكبوتية :موقع الدعوة السلفية 2- ســـــورة الــــروم – 30 3- ســــــورة الذاريات – 56 4- مجموع الفتاوى – 14 / 380 5- الإيمان اركانه وحقيقته ونواقضه – 13 – دار الفرقان- عمان – الأردن1419هـ1999م- للدكتور: محمد نعيم ياسين 6- المصــــدر نفســـه – 8 ينظر : مجموع الفتاوى – 14 / 378 7- ســــــورة الأعـــراف – 54

والأحياء والإماتة، وغير ذلك من الإفعال،لا يشاركه أحد في فعله سبحانه. لأن الخالق المالك المدبرهوالجديروحده، بالتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع،وهو المستحق وحده للحمد والشكر، والذكر والدعاء والرجاء والخوف وغير ذلك، والعبادة كلها لا يصح أن تكون إلا لمن له الخلق والأمر كله(1).وحكى سبحانه عن حال أحد الصالحين بقوله : (( وما ليَ لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون؟))(2).

ثـــانيا:ـ توحيد الألوهية ،"ومعناه بعبارة إجمالية: الإعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره، فهو مبني على إخلاص العبادة لله وحده، في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء منها لغيره يبحانه، فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأشكالها(3)." وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع(4)." ولما كان هذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام فقد كانت شهادتان أول ركن من أركان هذا الدين، وهذا النوع تدخل فيه أمور كثيرة،ومنها: ( أ ): وجوب إخلاض المحبة لله عزوجل، فلا يتخذ العبد ندا لله في الحب، يحبه كما يحبه الله.( ب ):وجوب أفراد الله تعالى في الدعاء والتوكل والرجاء فيم لا يقدر عليه إلاهوسبحانه. (ج ) : وجوب إفرادالله تعالى بالخوف منه.

(د): وجوب إفرادالله سبحانه بجميع أنواع العبادات البدنية من صلاة وركوع وسجود وصوم وذبح وطواف، وجميع العبادات القولية من نذر وإستغفار غير ذلك(5). كما يقول سبحانه:(( إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً))(6).فإذا ثبت المثبت أن"لا إله إلا الله" واحد ولا خالق سواه ولا قديم غيره فقد أنتفى عن قول الشريك الذي هوفي البطلان ووجوب أسم الكفرلقائله ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الإيمان اركانه وحقيقته ونواقضه – 9 - ينظر : مموع الفتاوى – 14 / 382 2- ســــــورة يــس – 22 3- المصـــدر الســابق – 9 ، ينظر: مجموع الفتاوى- 14 / 379 4- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم- 2 / 259 - الطبعة الثالثة- المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان-1406هـ1986م - المؤلف : أحمد بن إبراهيم بن عيسى - تحقيق : زهير الشاويس 5- الإيمان اركانه وحقيقته ونواقضه – 14 ، 15 6- ســــــورة النســـــاء – 116

كالإلحاد والتعطيل(1). ثــالثــا :ـ توحيد الأسماء والصفات،ومعناه الإعتقاد الجازم بأن الله عزوجل متصف بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن جميع صفات النقص(2). وقال شيخ الإسلام: " التوحيد الذي جاء به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن "لا إله إلا الله" فلا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولايعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه سبحانه من الأسماء والصفات ، فهوإثبات حقيقة ذات الربّ تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه من شاء من عباده وإثبات عموم فضائله وقدره وحكمته(3). "وواضح من هذا التعريف أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس: أولا: تنزية الله جل وعلا عن مشابهة الخلق، وأن أي نقص، كقوله:(( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ))(4).الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزه بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها. الثالث:قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات. كما نقل عن السلف في قوله تعالى:(( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ))(5):الإستواء معلوم، والكيفية مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة (6)."فإذا ثبت أنه ليس كمثله شيء و جماع ذلك أنه ليس بجوهر و لا عرض فقد انتفى التشبيه لأنه لو كان جوهرا أو عرضا لجازعليه ما يجوزعلى سائرالجواهروالأعراض وإذالم يكن جوهرا ولاعرضا لم يجزعليه مايجوزعلى الجواهرمن حيث أنها جواهركالتأليف و التجسيم شغل الأمكنة والحركة والسكون ولاما يجوزعلى الأعراض من حيث أنها أعراض كالحدوث وعدم البقاء(7)." فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله الله صلى الله عليه وسلم وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين(8).فيتبين مما تقدم أن هذا التوحيد يقدح فيه عدة أموريجب أن لا يقع فيه

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- شعب الإيمان- 1 / 104- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان-1410هـ1990م- تأليف : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول 2- الإيمان اركانه وحقيقته ونواقضه – 12 3- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم- 2 / 260 4- سورة الشورى - جزء من الآية 11 5- سورة طــه - 5 6- المصــدر السابق – 16 ، 17 – ينظر : العقيدة الواسطية- 8 – الطبعة الثانية- الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء- الرياض- السعودية-1412هـ1992م-لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني 7- شعب الإيمان للبيهقي- 1 / 104 8- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات- 10 - الطبعة الرابعة- الدار السلفية – الكويت- 1404هـ1984م- تأليف :الإمام محمد الأمين الشنقيطي - تحقيق : عطية محمد سالم

المسلم، وهي:...التشبيه، أي: تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق. والتحريف أو التغيير والتبديل، كتحريف ألفاظ الأسماء والصفات بزيادة أو نقصان أو تغيير الحركات الإعرابية. والتعطيل وهي نفي الصفات الإلهية وإنكارقيامها بذات الله سبحانه،كتعطيل الله جل وعلاعن كماله المقدس .

والتكييف وهو تعيين كيفية الصفات وإثبات كنهها(1)." فحقيقة المعرفة أن تعرفه موجودا قديما لم يزل و لا يفنى أحدا صمدا شيئا واحدا لا يتصور في الوهم ولا يتبعض ولا يتجزأ ليس بجوهرولاعرض و لا جسم قائما بنفسه مستغنيا عن غيره حيا قادراعالما مريدا سميعا بصيرا متكلما له الحياة والقدرة والعلم و الإرادة و السمع و البصر و الكلام لم يزل و لا يزال هو بهذه الصفات و لا يشبه شيء منها شيئا من صفات المصنوعات و لا يقال فيها : أنهاهو ولاغيره، ولاهي هو وغيره،ولا يقال أنها تفارقه أو تجاوزه أوتخالفه أو توافقه أو تحله بل هي نعوت له أزلية و صفات له أبدية تقوم به موجودة بوجوده دائمة بدوامه ليست بأعراض ولا بأغيار ولا حالة في أعضاء غير مكيفة بالتصور في الأذهان و لامقدورة بالتمثيل في الأوهام (2). فقدرته تعم المقدورات و علمه يعم المعلومات و إرادته تعم المرادات لا يكون إلا ما يريد و لا يريد ما لا يكون و هو المتعالي عن الحدود والجهات والأقطار و الغايات المستغني عن الأماكن و الأزمان لا تناله الحاجات و لا تمسه المنافع و المضرات و لا تلحقه اللذات و لا الدواعي ولا الشهوات و لا يجوز عليه شيء مما جاز على المحدثات فدل على حدوثها و معناه أنه لا يجوز عليه الحركة و لا السكون و الاجتماع و الافتراق و المحاذاة و المقابلة و المماسة و المجاورة و لا قيام شيء حادث به و لا بطلان صفة أزلية عنه و لا يصح عليه العدم و يستحيل أن يكون له ولد أو زوجة أو شريك قادر على إماتة كل حي غيره و يجوز منه إفناء كل شيء غيره و إعادته الأجسام بعده و خلق أمثالها من غير قصر على حد قادر على كل شيء يتوهم على الانفراد حدوثه له الملك و له الحكم كل ماأنعم به بفضل منه و كل ماأكرمه عدل منه لا يجوز عليه جور

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- الإيمان اركانه وحقيقته ونواقضه – 20 ،21 2- شعب الإيمان للبيهقي- 1 / 112

و لا يصح منه ظلم(1)." ولقد جاء القرآن من أوله إلى آخره يبين معنى لا إله إلا الله، ينفي الشرك وتوابعه، ويقر الإخلاص وشرائعه(2)." بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القرآن إما خبر عن الله واسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد(3).

وكذلك الحال في السنة المطهرة،لأنها شارحة لمعاني القرآن ومبينة لمجمله، فهما قاعدتان عظيمتان لإثبات توحيد الله عزوجل.وقد ذكر العلماء سبعة شروط لكلمة التوحيد " لا إله إلاالله " ، لا تنفع صاحبها إلا بإجتماع هذه الشورط , وهي:

الشرط الأول :ـ"العلم بمعناها،المراد منها نفيا وإثباتا،أي،لا إله: نافيا جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله: مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه (4)،كما قال سبحانه: (( فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ))(5) وقوله تعالى:(( إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ))(6).وفي الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة))(7). الشرط الثاني:ـ اليقين المنافي للشك، ومعنى ذلك: إن يكون قائلها مستيقنا بمدلولات هذه الكلمة ، يقينا جازما ، لأن الإيمان لايغني فيه الظن إلا علم اليقين، كقوله سبحانه: (( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ))(8). وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- شعب الإيمان للبيهقي- 1 / 112 2- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 170 3- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم- 2 / 260 4- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 172 5- ســــورة مــحـمد – جزء من الآية 19 6- ســـــورة الزخــــرف – جزء من الآية 86 7- رواه مســــلم – 1 / 55- كتاب الإيمان ، باب الدليل على من مات على التوحيد- رقم الحديث 26 . 8- ســــورة الحــجــرات – 15

دخل الجنة ))(1). الشرط الثالث:ـ القبول لما إقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه (2).لأن التصديق بالقلب والإقرار باللسان أصل الإيمان.وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(( من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدارسول الله ،فذل بها لسانه وأطمأن بها قلبه لم تطعمه النار))(3)."و هذه الشهادة فرض تجمع الاعتقاد بالقلب و الاعتراف باللسان و الاعتقاد و الإقرار و إن كانا عملين يعملان بجارحتين مختلفتين فإن نوع العمل واحد و المنسوب منه إلى القلب هو المنسوب إلى اللسان و المنسوب إلى اللسان هو المنسوب إلى القلب(4). الشرط الرابع:ـ الإنقياد لما دلت عليه ،المنافي لترك ذلك(5)،"وما حاصله هو البراءة من عبادة كل ماسوى الله و الإقبال بالقلب والعبادة على الله وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله(6)ويقول سبحانه:(( فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ....))(7). قال أبن كثير في تفسيرها : " يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة،أنه لايؤمن أحدكم حيث يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور،فما حكم به فهوالحق الذي يجب الإنقياد له باطنا ظاهرا(8). الشرط الخامس:ـ الصدق المنافي للكذب، وهو أن يقوله صدقا من قلبه، يواطيء قلبه لسانه(9). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه،عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:(( ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار ))(10)." والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة، بالتصديق بجميع أخباره وإمتثال أوامره وإجتناب نواهيه ، فالمصدق بها على الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله (11).......

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 1- رواه مســــلم – 1 / 56، 57- كتاب الإيمان ، باب الدليل على من مات على التوحيد- رقم الحديث 27 2- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 173 3- شعب الإيمان للبيهقي- 1 / 41- باب الدليل على أن التصديق بالقلب وباللسان – رقم الحديث 9 4- المصـــدر نفســـه - 1 / 103 5- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 173 6- - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – 113 7- ســـــــورة النســــــاء – 65 8- تفســــير القرآن العظــــيم – 1 / 169 9- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 174 10- رواه البخــاري- 1 / 59 - كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما – رقم الحديث 128 11- المصــــدر الســـابق نفســـه – 174

الشرط السادس:ـ الإخلاص، وهو تصفية بخالص النية عن شوائب الشرك(1)، وفي هذا يقول تعالى:(( وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء ))(2).وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: (( أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه ،أونفسه))(3)." وقال الفضيل بن عياض إن العمل إذاكان خالصاولم يكن صوابا لم يقبل، وأذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة(4). فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الألوهية له فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكبار ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد أن يكون الدين كله لله(5).

الشرط السابع :ـ المحبة لهذه الكلمة ، ولما إقتضته ودلت عليه ، ولأهلها العاملين بها، الملتزمين لشروطها،وبغض ما ناقض ذلك (6). : (( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ ))(7) ." تقتضي أن لا يحب سواه، فان الآله هو الذي يطاع فلا يعصي محبة وخوفا ورجاء، ومن تمام محبته محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئا مما يكرهه الله أو كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لاإله إلا الله وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله(8)، قال الله تعإلى: (( ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ))(9). ومن هنا نعلم"أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 175 2- ســـــــورة البيــــنة – جزء من الآية 5 3- رواه البخــاري- 1 / 49 - كتاب العلم باب الحرص على الحديث – رقم الحديث 99 4- مجموع الفتـــاوى – 11 / 509 5- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم- 452- الطبعة الثانية- مطبعة السنة المحمدية – القاهرة- مصر-1369هـ1949م- تأليف : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس- تحقيق : محمد حامد الفقي 6- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 175 7- ســـــورة البقـــرة – جزء من الآية 165 8- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها – 29 - الطبعة الرابعة- : المكتب الإسلامي – بيروت- لبنان-1397هـ1977م- تأليف : ابن رجب الحنبلي - تحقيق : زهير الشاويش

9- ســــــــورة مـــحـمــد – 28

ما يحبه وكراهة ما يكرهه فلا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وتصديقه ومتابعته(1). ويقول ابن القيم رحمه الله :ـ شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا عصـيان فــإذا أدعـيت له المحـبة مـع خـلا فـك ما يحب فأنت ذوبهتان أتحـب أعـداء الحبـيب وتـــــدعى حــبا له مــاذاك في إمــكان وكـــذا تعــادي جاهـــدا أحــــبابه أيـن المحبة ياأخا الشــيطان ليــس العبادة غير توحيد المـحبة مع خضوع القلب والأركان(2).

" لأن الإيمان الحقيق بالله، هو الذي ينبعث منه الحب في الله الذي يحرك إرادة القلب ويوجهها إلى المحبوبات وترك المحظورات، وكلما إزداد الإيمان بالله في نفس المؤمن إزدادت المحبة في الله (3)." وأن الإيمان الحق كما جاء به الإسلام، هو الحل الفذ لعقد الحياة المعاصرة التي إستعصت على العلم وعلى الفلسفة، وحار فيها المفكرون والمشرعون وطلّاب الإصلاح (4).

هذه هي شروط كلمة التوحيد وبيانها بإختصار في ضوء كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان لكلمة التوحيد هذه الشروط فهنالك أمورالتي تكون سببا لنقض الإيمان وصحة كلمة التوحيد، يجب على المسلم أن يحذر منها، ويمكن حصر هذه النواقض في أربعة أمور, وهي: ـ

الأول :ـ يتضمن إنكار ربوبية الله عزوجل أو الطعن فيها، فتوحيد الربوبية "كما تقدم" هو: الإعتقاد الجازم بأن الله تعالى هوربّ كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء و رازقه والمتصرف فيه وحده، بمشيئته وعلمه وحكمته سبحانه، فكل قول أو إعتقاد فيه إنكار ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها – 33 2- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم -2 / 264 3- فقه النصروالتمكين في القرآن الكريم – 177 4- الإيمان والحياة للشيخ يوسف القرضاوي ـ 269-

لهذه الخصائص الربّانية أو بعضها، كفر وردّة، فيدخل في هذا إنكار الخالق، والقول بقدم شيء ، أي لم يخلقه الله سبحانه ، أوإسنادالخلق تدبيره إلى غيرالله عزوجل، كالصدفة والطبيبعة وغير ذلك، وكذلك يعد كفرا وردّة أن يدعى شخص لنفسه من هذه الخصائص، كأن يدعى لنفسه الربوبيّة(1)، كما قال فرعون : (( أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ))(2).

الثـــاني :ـ "هو ما يتضمن الطعن في أسماء الله وصفاته. فقد أثبت الله سبحانه لنفسه، وأثبت له رسول الله صلى الله عليه وسلم، صفات وأسماء،ونفى سبحانه عن نفسه، ونفى عنه رسوله صفات، فمن نفى أو إنتقض شيئا مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله فقد كفر،وكذلك من أثبت لله شيئا، نفاه الله عنه ورسوله(3) . فكفرالصفات نوعان: كفرالنفي،أي نفي أية صفة من صفات الله سبحانه،كنفي علمه الكامل أوقدرته أو حياته أو قيوميته أو سمعه أو بصره أو إستوائه على العرش ، أو كلامه أو رحمته أو جبروته أو كبريائه، أو غيرهم ما هو ثابت لله في السنة المطهرة. وكفرالإثبات : أي إثبات أية صفة لله، نفاها سبحانه عن نفسه، أونفاهاعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كإثبات الولد له سبحانه، أو البنات أوالصاحبة، أو السِّنة أو النوم أو الغفلة أو الموت، أو أي نقص من النواقص ألتي تعتري البشر(4) . قال سبحانه : (( قُلْ هُوَاللهُ أَحَدٌ ، أَللهُ الصَّمَدٌ، لَمْْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كَفُوّاً أَحَدٌ ))(5).

الثــالث:ـ "هوالطعن في الألوهية: فتوحيد الألوهية هوالشهادة بأن الله وحده هوالمعبود بحق،وأن سواه لايستحق أي شيء من العبادة،فمن قال قولا أوفعل فعلا أوأعتقد إعتقادا يتضمن أنكارهذا الحق لله سبحانه،وإنتقاض شيء منه،أوأثباته شيء منه لغيراللهعزوجل ، فقد كفر."وأكثر إرتداد الناس وكفرهم يرجع إلى هذا النوع، فإن أكثرهم في الماضي والحاضريقرون بوجودالخالق سبحانه،وكثيرمنهم يثبت له خصائص الربوبية وصفاتها من قدرة وتدبيرورزق وأحياء وإماتة وغيرها(6).حتى فإن مشركي العرب كانوامقرين

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه – 154 2- ســـــورة النـــازعــات – 24 3- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه – 155 4- المصـــدر نفســـه- 155 5- ســـــــورة الإخــــلاص- 1، 4 6- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه – 155

بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين(1). كماقال تعالى: (( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ))(2)."قال طائفة من السلف : تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره(3).كما حكى سبحانه عنهم:(( قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ، قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ))(4). وقال تعالى : (( وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ))(5).

فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه داعيا له دون سواه راجيا له خائفا منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويطيع رسله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهي عنه(6).

وهذا التوحيد هومن التوحيد الواجب لكن لايحصل به كل الواجب ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هوأكبرالكبائرالذي لا يغفره الله بل لابد أن يخلص لله الدين والعبادة فلا يعبد إلا إياه ولا يعبده إلا بما شرع فيكون دينه كله لله(7)."والواقع أن هذا النوع من الكفر يدخل صاحبه في النوعين السابقين من الكفر، لأن من يعترف لله سبحانه بأنه الخالق لكل شيء،والمدبرلكل شيء،ويعترف له بجميع صفات الجمال والكمال يقتضيه ذلك أن يعترف له وحده دون غيره بالألوهية المطلقة،وإستحقاق العبودية دون سواه ، فإن أنكرذلك وعبَدَغيره أوعبد معه غيره،فإن إعترافه لله بالربوبية باطل ولا قيمة له(8)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- درء تعارض العقل والنقل – 1 / 129 – الطبعة الأولى- دار الكنوز الأدبية – الرياض- السعودية-1391هـ1971م- تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس- تحقيق : محمد رشاد سالم – أو ينظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم -2 / 262 2- ســــورة يوســـف- جزء من الآية 106 3- درء تعارض العقل والنقل – 1 / 129 4- ســــــورة المــــؤمـــنون- 84 ، 89 5- ســـــورة العنــــــكبوت – 61 6- درء تعارض العقل والنقل – 1 / 129- ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم- 460 7- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم-460 8- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه – 156

الــرابع :ـ "وهو كل قول أو فعل أو إعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو في صاحبها صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك ينقض شهادة"أن محمدا سول الله، فإن هذه الشهادة تعني: التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه حق وصدق، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم،أهله ربه وحلاه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالةوتبليغها على أتم وجه وأكمله(1)." والشهادة بأن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه(2). وبهذا نعلم أنه ينقض هذه الشهادة أحد أمرين الأتيين :ـ

أ:ـ الطعن في رسول الله، كنسبة أي شيء للرسول صلى الله عليه وسلم، مما يتناقض مع إصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده. ب :ـ إنكار أي أمر من الأمور التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فيكفر من أنكر ما أخبر به وثبت عنه صلى الله عليه وسلم، من البعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ونحوها من المغيبات(3).

فهذه نواقض الإيمان والتوحيد ، تكلمنا عنها ، و سبق أن تكلمنا عن معنى التوحيد وأنواعه وشروطه بالإختصار، فالتوحيد أعظم مباديء الدين وأعلى ذروة الدعوة، وهو حبل الله المتين، وأكبر مناهج الرسل، وهو سبيل النجاة من عبادة العباد إلى عبادة المعبود الخالق وحده عزوجل ، لابد أن نتعرف على مبادئه وشروطه ونواقضه ، وأن نتعلم في كيفية التوحيد بحيث يكون خالصا مخلصا لله تعالى في كل الأحوال، وأن نتجرد كل شيء من الحجر والشجر والشمس والقمر والأنبياء والأولياء والمشايخ والقبور وغيره.... من توحيد الله سبحانه في العبادة والدعاء والإستعانة والإستغاثة والإستعاذة والشفاء .... إلخ ، فمن الواجب أن يفرد الله سبحانه وتعالى في كل عبادة من العبادات الفعلية والقولية والقلبية ولا يشرك أحد معه في أي شيء من هذه العبادات ، كما هو شائع في زماننا هذا من زيارة القبور والمشايخ بقصد الإستغاثة والإستعانة والدعاء والشفاء...إلخ، ويقع البعض في الكفر بسبب هذه الأفعال سواء أكان جاهل بعملهم أم عالم به ...............................

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه – 160 2- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم – 452

3- الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه – 160

المبحـــث الثــانــي :ـ

الإحســان : تعـريفه وفضائله ودلالته في القرآن والسنة.

ويشــــتمل عل المطـــالب الآتيـــــــة:ـ

المــطلب الأول :ـ

تعـــريف الإحســـان في اللغـــة والإصــــطلاح .

المـــطلب الثــانــي:ـ

فضـل الإحسـان ومكانته في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

المـــطلب الثـالـث:ـ

نمــاذج من الإحســـان و وجــوب مراعاتـه في المجتــــمع .

المــطلب الأول :ـ

تعـــريف الإحســـان في اللغـــة والإصــــطلاح .

الإحسان في اللغـــة ضد الإساءة، يقال: رجل محسن ومحسان. وقال سيبويه ولا يقال: ما أحسنه، يعنى من هذه لأن هذه الصيغة قد إقتضت عنده التكثير، فأغنت عن صيغته التعجب، ويقال: أحسِنْ يا هذا فإنك محسان، أي: لا تذل محسنٌ(1).

والإحسان هومصدر تقول: أحسن يحسن إحسانا ويتعدي بنفسه وبغيره، تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته ، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع (2).

وقيل المراد بالإحسان : الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله(3). وقال الراغب في قوله تعالى : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان." إن الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل بأن يعطى ما عليه ويأخذ ماله، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائدا على العدل، فتحرى العدل واجب وتحرى الإحسان ندب وتطوع(4).

والإحسان في اللغة : الإتيان بما هو حَسَنٌ، والإحسان في الشـــرع :ـ هو الإتيان بالحسنات، والحسنات هي فعل الواجب والمستحبات ،ونرك المحرمات والمكروهات، وفعل أو ترك المباحات، لأنها مباحات ، مع تصديق ذلك لله تعالى، والإخلاص له فيه ومع إستحضار رؤية الله وإطلاعه على ظاهره وباطنه(5)." وفي حديث سؤال جبريل عليه السلام لنبيّ صلى الله عليه وسلم :ما الإحسان؟ أراد بالإحسان الإخلاص وهو شرط في صحة الإيمان والإحسان معاً، وقيل أراد به الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، ويقال أنه كان ينصرالضعيف ويعين المظلوم ويعود المريض فذلك إحسانه(6). وأن

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- لســـان العرب- 5 / 146

2- فتح البــاري شرح صحيح البخاري – 1 / 120

3- لســـان العرب- 5 / 146- ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر- 1 / 962-

4- تــــاج العروس – 8008

5- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية رواية محمد الصالح رمضان- 53 - الطبعة الأولى - دار الفتح – الشارقة- الإمارات-1415هـ1995م المؤلف : عبد الحميد بن باديس- تحقيق : محمد الصالح رمضان 6- تــــاج العروس – 8008

الإحسان إسم جامع نبوي يجمع أبواب الحقائق ، وهو " أن تعبد الله كأنك تراه " وهو على ثلاث درجات:ـ

الأولـــى :ـ الإحسان في القصد بتهذيبه علما وإبرامه عزما وتصفيته حالاً. الثـاني :ـ الإحسان في الأحوال، وهو أن تراعيها غيره و تسترها تظرفا وتصححها تحقيقا . الثـالث :ـ الإحسان في الوقت ، وهو أن لا تزايل المشاهدة أبدا ولا تلحظ لهمتك أمدا وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدا (1).

والإحسان : هو التحقيق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية، بنور البصيرة، أي: رؤية الحق موصوفا بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقينا ولا يراه حقيقة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " كأنك تراه "، لأنه يراه من وراء حجب صفاته ، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة لأنه تعالى إلى هو الداعي وصفة لوصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح(2).

وخير التعريف للإحسان كما عرفه خير الأنام، وحامل رسالة السماوية، حبيبنا وحبيب ربِّ العالمين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، هو(( أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه يراك))(3).فهو اليقين والإخلاص والمراقبة والخشوع ،فهوالعمل الصالح وكمال التقوى ومكارم الأخلاق،فهوالمشاهدة والحياء والإيثاروالصدق والصدقة ، فهو أقوى من الإيمان والإسلام ،فالمسلم والمؤمن بدونه غير محسن الذي يقول سبحانه في حقه : "والله يحب المحسنين " لكن المحسن ينبغي له أن يكون في نفس الوقت مؤمناو مسلما. ولو كان فوق مقام الإحسان مقام آخر لسأله جبريل عليه السلام وأشار إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم في الجواب، كالإيمان والإسلام .................

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- منازل السائرين- 76- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- 1408هـ1988م-

تأليف : عبد الله الأنصاري الهروي

2- التعريفات للجرجاني – 27 -

3- ينظر: صحيح البخاري- 1/ 27- كتاب الإيمان باب سؤال جبريل... .. رقم الحديث 50- و صحيح مسلم – 1 / 36 كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... رقم الحديث 8

المـــطلب الثــانــي:ـ

فضـل الإحسـان ومكانته في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الإحسان في الإسلام ذات أهمية كبيرة ومقامه رفيعة ، وقد كثرت ذكره في القرآن والسنة وهو موضوع إهتمام السلف الأمة وخلفها،ظهورالإحسان سبب لإنزال الرحمة والبركة الإلهية،والمحسن موردالعناية من إله الكون وموجب الثواب في الدنياوالآخرة

"الإحسان هو مراعاة الخشوع والخضوع ومافي معناهما في العبادة(1)." فهو يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النِّعّم ويدفع النقم تركه يوجب الضيم والضيق ويمنع وصول النِّعَم(2). " والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق والله سبحانه لاغالب له فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء فإن كان الله مع العبد فمن يخاف وإن لم يكن معه فمن يرجو وبمن يثق ومن ينصره من بعده(3)." والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهدوالإخلاص والمراقبة وغيره(4)." فالإحسان عمل عظيم في المجتمع الإسلامي وقدبين الله سبحانه ذلك في كثير من الآيات الكريمة (5).

فقدجاء القرآن بالإحسان وذكره في مواضيع عدة في آياته الكريمة ، تارة مقرونا بالإيمان و تارة مقرونا بالإسلام ، وتارة مقرونا بالتقوى أو بالعمل الصالح، فالمقرون بالإيمان، كقوله تعالى : ((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ))(6). والمقرون بالإسلام،قوله سبحانه : (( بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ ))(7).وقوله:((وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ )) (8). و يقول سبحانه : (( لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- حاشية السندي على النسائي- 8 / 99- الطبعة الثانية- مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب- سوريا-1406هـ1986م-

المؤلف : نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي- تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة

2- طريق الهجرتين وباب السعادتين – 419

3- إعلام الموقعين عن رب العالمين –

4- فتح الباري شرح صحيح البخاري – 11 / 435 5- الحق والعدل والحكمة في الإسلام- 21 ـ مطبعة دار المحافظ ـ دمشق ـ سوريا ـ 1384هـ 1985م لأستاذ الشيخ محمدجقمورالمحاضروالواعظ السوري 6- ســــورة المـــائــدة – 93 7- ســـورة البــــقرة – 112 8- ســـــورة لـــقمان – 22

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))(1)." وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسيرالزيادة بالنظرإلى وجه الله تعالى في الجنةوهذامناسب لجعله جزاءلأهل الإحسان ولأن الإحسان هوأن يعبد المؤمن ربه في الدنياعلى وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظرإليه في حال عبادته فكان جزاءذلك النظرإلى وجه الله عيانا في الآخرة(2). ويعلن سبحانه محبته للمحسنين ، في كتابه الكريم عقب ذكر بعض صفات المتقين، بقوله: (( الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ))(3). " الصفة الأولى:الإنفاق في السراء والضراء، والثانية :الكاظمين الغيظ،وكضم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لايظهرعليه، والثالثة : العفو عن الناس فيما أساءواإليهم،وهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الاحتراس لأن كظم الغيظ قدتعترضه ندامة فيستعدي على من غاظه بالحق فلما وصفوا بالعفو عمن أساء إليهم دل ذلك على أن كظم الغيظ وصف متأصل فيهم مستمر معهم . وإذا اجتمعت هذه الصفات في نفس سهل ما دونها لديها وبجماعها يجتمع كمال الإحسان ولذلك ذيل الله تعالى ذكرها بقوله " والله يحب المحسنين " لأنه دال على تقدير أنهم بهذه الصفات محسنون والله يحب المحسنين(4).والله سبحانه يأمر بالإحسان كما أحسن نفسه عزوجل بكل أنواع الإحسان والفضل مع مخلوقاته، بقوله:((وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ))(5) ." الإحسان داخل في عموم ابتغاء الدار الآخرة والمعنى :أحسنْ كإحسان الله إليك بأن يكون الشكر على كل نعمة من جنسها ،وحذر من خلط الاحسان بالفساد فإن الفساد ضد الإحسان فالأمربالإحسان يقتضي النهي عن الفساد(6). ويقول سبحانه : ((وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســــــورة يونــس – 26

2- جامع العلوم والحكم – 35- الطبعة الأولى- دار المعرفة- بيروت- لبنان--1408هـ1988م- تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

3- ســــورة آل عمــران – 134

4- تفسيــــــر التــحرير والتنــــوير – 823

5- ســـــورة القصــص- 77

6-المصـــدر الســـابق – 3166

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً))(1)." يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الانات والحالات ، ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين ، فإن الله سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود، ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء،ثم الإحسان الى اليتامى لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم ، ثم المساكين وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لايجدون ما يقوم بكفايتهم فأمرالله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم،ثم الإحسان بالجار وأنواعهم(2)."وأن الأنبياء إنمابعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعم في معاشهم ومعادهم ، لم يبعثوا بالخلوات والإنقطاع عن الناس والترهب ، ولهذا أنكر النبي على أولئك النفر الذين هموا بالإنقطاع للتعبد وترك مخالطة الناس ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله ونفع عباده والإحسان إليهم أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك(3). ويقول سبحانه : (( إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ))(4)." وفسر الإحسان بفعل ما يستحسن له ولغيره والإساءة بضد ذلك و إن تكرير الإحسان في النظم الكريم دون الإساءة إشارة إلى أن جانب الإحسان أغلب(5).ثم قوله تعالى : ((هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ))(6)." أي: ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب(7)."وقيل:هل جزاء من قال لاإله إلاالله إلا الجنة، أو هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة(8)."فالإسلام له نوروالإيمان له نورأقوى منه والإحسان له نور أقوى منهما فإذا اجتمع الإسلام والإيمان والإحسان وزالت الحجب الشاغلة عن الله تعالى امتلأ القلب والجوارح بذلك النور لا بالنور الذي هو صفة الرب تعالى فإن

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســــورة النســـاء – 36

2- تفســــيـر القرآن العظـــيم – 1 / 656، 657

3- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – 1 / 88

4- ســــــورة الإســــراء – 7

5- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 15 / 19

6- ســـــورة الرحمـــن - 60

7- المصـــــدر الســـابق – 27 / 120

8- حسن الظن بالله – 121 - الطبعة الأولى- دار طيبة – الرياض- السعودية-1408هـ1988م- تأليف : عبد الله ابن محمد أبو بكر القرشي البغدادي - تحقيق : مخلص محمد

صفاته لا تحل في شيء من مخلوقاته كما أن مخلوقاته لا تحل فيه(1). فهذه الأيات وغيرها بكثير في القرآن تدل على فض الإحسان ومكانتها ، وتحث الناس عليها.

وفي السنة المطهرة أيضا هناك أحاديث كثيرة تدعو إلى الإحسان والفضل، منها الحديث المشهور لجبريل عليه السلام حينما سأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم،عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال: (( فأخبرني عن الإحسان؟ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم:((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))(2)."يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وهو استحضار قربه و أنه بين يديه كأنه يراه و ذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: أن تخشى الله كأنك تراه،ويوجب أيضا النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها وقد وصى النبي جماعة من الصحابة بهذه الوصية كما روى عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم :أن أخشى الله كأني أراه فإن لم أكن أراه فإنه يراني(3).

وإحسان العبادة : الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود ،وأشار في الجواب إلى حالتين أولهما: أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بقلبه وهو قوله "كأنك تراه" أي هو يراك ، والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل وهو قوله "فإنه يراك"وهاتان الحالتان ثمرتهما معرفة الله تعالى وخشيته وقال النووي معناه أنك انما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه يراك لكونه يراك لا لكونه تراه فهو دائما يراك فأحسن عبادته وان لم تره(4)." قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه(5)." والحاصل أن

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – 3 / 112

2- رواه البخاري- 1/ 27- كتاب الإيمان باب سؤال جبريل.... رقم الحديث 50- و مسلم – 1 / 36 كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... رقم الحديث 8- والترمذي- 5/6-رقم الحديث2610- وأبو داود- 2/635 – رقم الحديث4659- وإبن ماجة – 1/24 – رقم الحديث63- و أحمد – 1/27- رقم الحديث 184

3- جامع العلوم والحكم – 35، 36

4- شرح السيوطي لسنن النسائي- 8 / 99-

5- صــحيــح مســـلم – 1 / 36

الإحسان هو مراعاة الخشوع والخضوع وما في معناهما في العبادة على وجه راعاه لو كان رائيا ولا شك أنه لو كان رائيا حال العبادة لما ترك ما قدر عليه من الخشوع وغيره ولا منشأ لتلك المراعاة حال كونه رائيا إلا كونه تعالى رقيبا عالما مطلعا على حاله وهذا موجود وان لم يكن العبد يراه تعالى ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم في تعليله فإن لم تكن تراه فإنه يراك أي وهو يكفي في مراعاة الخشوع بذلك الوجه(1)." المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه، على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين :هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله و هو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة و كل نفس و كل طرفة عين والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات فكيف ، بحال المريدين ، فكيف بحال العارفين.. قال الجريري : من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة : لم يصل إلى الكشف والمشاهدة ،وقيل : من راقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه وقيل:علامة المراقبة إيثارما أنزل الله وتعظيم ماعظم الله وتصغير ماصغر الله ،وقيل الرجاء يحرك إلى الطاعة و الخوف يبعد عن المعاصي والمراقبة تؤديك إلى طريق الحقائق (2). وفي حديث آخر عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (( إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته ))(3)."فظاهر هذا الحديث يقتضي أنه كتب على كل مخلوق الإحسان فيكون كل شيء أوكل مخلوق هو المكتوب عليه و المكتوب هو الإحسان وقيل: إن المعنى أن الله كتب الإحسان إلى كل شيء، أو في كل شيء، أو كتب الإحسان في الولاية على كل شيء، فيكون المكتوب عليه غير مذكور و إنما المذكور المحسن إليه و لفظ الكتابة يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين خلافا لبعضم وإنما استعمال لفظة الكتابة في القرآن فيما هو واجب

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- حاشية السندي على النسائي- 8 / 99

2- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – 2 / 65

3- رواه مســـلم – 3 / 1548- كتاب الصيد- باب الأمر بأحسان الذبح- رقم الحديث1955- و الترمذي- 4/23- كتاب الديات باب النهي عن المثلة- رقم الحيث 1409- وأبو داود- 2/109-كتاب الضحايا باب 12-رقم الحديث2815- والنسـائي- 7/227-كتاب الضحايا، باب الأمر بإحداد الشفرة- رقم الحديث4405- و ابن ماجة-2/1058- رقم 3170-

و ينظر: سنن الدارمي-2/112-كتاب الأضاحي- باب في حسن الذبيحة-رقم1970- الطبعة الأولى- دار الكتاب العربي – بيروت-لبنان-1407هـ1987م-تأليف:عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي تحقيق:فواز أحمد زمرلي ,خالد السبع العلمي

حتم إما شرعا كقوله تعالى:(( إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ))(1).أو فيما هو واقع قدرا لا محالة كقوله:(( كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ))(2)." وحينئذ فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان وقد أمر الله تعالى به فقال "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" و قال"أحسنوا إن الله يحب المحسنين"وهذا الأمر بالإحسان تارةيكون للوجوب كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بمقدارما يحصل به البر والصلة والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها(3) ." إن الله كتب الإحسان على كل شيء أي : أوجب الله عليكم الإحسان في كل شيء والمراد بالإيجاب: الندب المؤكد(4)." وفي حديث المعراج عن إبن عباس رضي الله عنه ،عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (( أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن )) . قيل أيكفرن بالله ؟ قال: (( يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لوأحسنت إلى إحداعن الدهرثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خير قط))(5). وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله عزوجل محسن يحب الإحسان ))(6)." والعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات وهو ما أمرالله به والذى أمرالله به هو الذى شرعه الله وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله فقد أخبر الله تعالى انه من أخلص قصده لله وكان محسنا فى عمله فانه مستحق للثواب سالم من العقاب(7). وقال ابن القيم رحمه الله : اليقين هو المكاشفة، و المكاشفة : ظهور الشيء للقلب بحيث يصير نسبته إليه كنسبة المرئي إلى العين فلا يبقى معه شك ولا ريب أصلاوهذا نهاية الإيمان وهو مقام الإحسان وقد يريدون بها أمرا آخروهوما يراه أحدهم في برزخ بين النوم واليقظة

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســـــورة النســـاء- جزء من الآية 103

2- ســـــورة المجـــادلة- جزء من الآية 21

3- جامع العلوم والحكم – 151 ، 152

4- حاشية السندي على النسائي- 7 / 227

5- رواه البخاري- 1/19- كتاب الإيمان باب كفران العشير- رقم29- ومســـلم- 2 / 262 – كتاب الكسوف باب3-رقم907- والنسائي-3/146- رقم 1493- و أحمد1 / 298 – رقم 2711 - و ينظر: صحيح ابن خزيمة- 2/312-رقم 1377-الطبعة الأولى- المكتب الإسلامي- بيروت-لبنان-1390هـ1970م- المؤلف : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي:

6- رواه الطبراي في المعجم الأوسط- 6 / 41- الطبعة الثاني- دار الحرمين – القاهرة-1415هـ1995م- تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,‏عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

7- مجمـــــوع الفتاوى- 28 / 177

عند أوائل تجرد الروح عن البدن (1).والإحسان هو مكارم الأخلاق الذي جاء به النبيّ

صلى الله عليه وسلم لإتمامه، كماروي عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))(2).

فالأخلاق " وهوعبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي منقسمة إلى محمودة ومذمومة ، فالمحمودة منها صفات الأنبياء و الأولياء والصالحين كالصبرعند المكارةوالحمل عند الجفا وحمل الأذى و الإحسان للناس و التودد إليهم و الرحمة بهم والشفقة عليهم واللين في القول و.....غيرها(3)." ظهر من هذه التعاليم أن الإسلام جاء لينتقل بالبشرخطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب,وأنه إعتبر المراحل المؤدية إلى هذاسالهدف النبيل من صميم رسالته ، كما أنه عدّ الإخلال بهذه الرسائل خروجا عليه وإبتعادا عنه ، فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الإستغناء منها بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين ويحترم ذويها(4).

" ولو كان فوق مقام الإحسان مقام آخر لذكره النبي لجبريل ولسأله جبريل عنه فإنه جمع مقامات الدين كلها في الإسلام والإيمان والإحسان نعم الفناء المحمود:هو تحقيق مقام الإحسان وهو أن يفنى بحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه وعبادته والتبتل إليه عن غيره وليس فوق ذلك مقام يطلب إلا ما هو من عوارض الطريق(5).

فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه وهو بكل شيء عليم، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وأتم التسليم........

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – 2 / 399

2- رواه الحاكم في المستدرك- 2 / 670- رقم 4221- والطبراني في المعجم الأوسط- 7/74- رقم 6895- و ينظر : سنن البيهقي الكبرى- 10/191- رقم20571- الطبعة الأولى- مكتبة دار الباز- مكة المكرمة-1414هـ1994م-

تأليف:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي- تحقيق : محمد عبدالقادر عطا- و : مسند الشهاب- 2/192 رقم1165- الطبعة الثانية- مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان- 1407هـ1986م- تأليف : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي. اللفظ للحاكم ، حديث صحيح على شرح مسلم ......

3- عون المعبود شرح سنن أبي داود- 12 / 286- الطبعة الثانية- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- 1415هـ1995م- تـأليف : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب .

4- خلق المسلم – 17 – الطبعة الأولى- دار الكتاب العربي- القاهرة مصر-1372هـ1953م- تأليف: محـمـد الغزالي...

5- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – 2 / 57

المـــطلب الثـالـث:ـ

نمــاذج من الإحســـان و وجــوب مراعاتـه في المجتــــمع .

ذكرنا في المطلب السابق، فضل الإحسان و مكانته وأهميته في الإسلام، وأوردنا آيات وأحاديث عدة في هذا المجال، ومن هنا سنتطلع عن البحث من أهـــمّ نماذج الإحسان التي يجب مراعاتها في المجتمع، بل كل واحد منهم أسس من أساس المجتمع.فقد ورد ذكر بعضهم في قوله تعالى : (( وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً))(1).فهذه النماذج من الإحسان وغيرها موضوعنافي هذا المطلب ونتكلم عنها إن شاء الله بقدر الإمكان.

الأول:ـ الإحسان إلى الوالدين والأقارب :

يقرن الله سبحانه وتعالى في مواضيع كثيرة بين عبادته وتوحيده وبين الإحسان إلى الوالدين والأقارب، كما تقدم في قوله سبحانه: (( وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى...)) ونظيرها قوله تعالى : ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...))(2)."فهوأمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك، أورٌ في صورة قضاء، فهوأمرحتمي حتمية القضاء، جاءت التكاليف الفردية والإجتماعية، ولها في النفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد، ومن ثم يربط السياق برّالوالدين بعبادة الله، إعلانا لقيمة هذا البرّعند الله(3).وفي قوله سبحانه أيضا :(( وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ))(4). وجاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال :(( فهل من والديك أحد حي ؟ )) قال:نعم بل كلاهما، قال:((فتبتغي الأجر من الله؟)) نعم ،قال:((فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما))(5). فهذه

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1-ســـــــورة النســـاء – 36

2- ســــورة الإســــراء – جزء م الآية 23

3- في ظـــلال القرآن – 4 / 2221

4- ســــورة لــقمان - 14

5- رواه مســـلم – 4 / 1975 – كتاب البرواللصلة ، باب برالوالدين – رقم الحديث 2549

الآيات و الأحاديث وغيرها كثيرة في فضل برّالوالدين وصلة الأرحام ، واهتمّ بها إهتماما بالغا ، ولكثرة هذا الإهتمام وعظمة شأنها ،قررنا بدراستها في مبحث خاص، كما أهتمّ بها الله سبحانه وتعالى بذكره في قوله " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى "مع أنها من أنواع الإحسان، وسبب ذكرها في هذا المطلب لأنها من أهمّ أنواع الإحسان لابد أن نشير إليها.

ثـــانيا :ـ الإحسان إلى اليتامى والمساكين وسائر الضعفاء، والتواضع معهم :

يقول سبحانه وتعالى:((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ))(1).وكذا أمربالإحسان اليهم في الآية السابقة بقوله:((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ..... وَابْنِ السَّبِيلِ )) فجمع الله سبحانه في هذه الأية بين ذكر حقه على العبد وحقوق العباد على العباد أيضا،وجعل العباد الذين أمربالإحسان إليهم خمسة أنواع :أحدهما عن بينه وبين الإنسان قرابة، وخص منهم الوالدين بالذكر لإمتيازهما عن سائر الأقارب،والثاني: من هو ضعيف،محتاج إلى الإحسان وهو نوعان ، من هو محتاج لضعف بدنه وهو اليتيم ومن هومحتاج لقلة ماله وهوالمسكين ،والثالث: من له حق القرب والمخالطة، وجعلهم ثلاثة أنواع : جارذوقربى ، وجارجنب، وصاحب بالجنب. والرابع :من هو وارد على الإنسان غيرمقيم عنده،وهو إبن السبيل،يعني المسافرإذا ورد إلى بلد آخر وفسّربعضهم بالضيف،يعنى إبن السبيل إذا نزل ضيفاعلى أحد. والخامس:ملك اليمين.وقدوصى النبي صلى الله عليه وسلم بهم كثيرا،وأمر بالإحسان إليهم، كما جاء في الحديث،أن آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم، عند وفاته" الصلاة وما ملكت إيمانكم". وأدخل بعض السلف في هذه الآية ما يملكه الإنسان من الحيوانات والبهائم(2).وعن سهل بن سعد،عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(( أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا )) . وقال بإصبعيه السبابة والوسطى(3). " فكافل اليتيم أي: القيم بأمره ومصالحه ومربيه، واليتيم من مات أبوه وهو صغير يستوي فيه المذكر والمؤنث، وفيه إشارة إلى أن بين

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســـــورة الضحى – 9، 10

2- جامع العلوم والحكم – 139

3- رواه البخاري – 5 / 2237 – كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيما - رقم 5659. وأبو داود- 2 / 760- كتاب الأدب،باب في من ضم اليتيم - رقم 5150- والترمذي – 4/321-كتاب البر والصلة، باب رحمة اليتيم وكفالته- رقم 1918

درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت مابين السبابة والوسطى(1). وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (( أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا إمرأة تبادرني فأقول :من أنت؟ فتقول :أنا إمرأة تأيمت على أيتام لي ))(2). " ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين سرعة الدخول وعلو المنزلة، قال العراقي في شرح الترمذي لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا وكذلك كافلاليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمردينه بل ولا دنياه ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه(3). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى))(4). هذه الفضيلة تحصل لمن كفل من مال نفسه أومن مال اليتيم بولاية شرعية ، وأن يكون قريبا له كجدّه وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه ، والذي لغيره أن يكون أجنبيا(5).وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (( ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لايجدغنى يغنيه ولايفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس))(6).

الثــــالث :ـ الإحسان إلى الجار والوصية به : وقد وصى الله و رسوله في أكثر من موضع في الكتاب والسنة المطهرة، بحسن الجوار، كما سبق في قوله تعالى في سورة النساء,(( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً .....وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ )) وفي الصحيحين عن عائشة وإبن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال :(( مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))(7).فمن أنواع الإحسان

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- عــون المعبـود شـــرح ســنن أبي داود – 14 / 41

2- فتح الباري شرح صحيح البخاري – 10 / 436

3- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- 6 / 39،40- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- تأليف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري أبو العلا

4- رواه مســـلم – 4 / 2287-كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم- رقم 2983

5- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- 18 / 113

6- رواه البخاري- 2 /538- كتاب الزكاة، باب 53- رقم 1409- ومسلم- 2 / 719-كتاب الزكاة باب34- رقم1039.

7- رواه البخاري- 5 / 2339- رقم 5668- ومســلم-4 / 2025-كتاب البروالصلة، باب الوصية بالجار- رقم2625-

إلى الجار مواساته عند حاجته(1).وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( والله لا يؤمن

والله لا يؤمن والله لا يؤمن )). قيل و من يا رسول الله ؟ قال : (( الذي لا يأمن جاره بوائقه))(2). وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر:(( إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك ))(3). وقد إختلف المفسرون في أنواع الجارالذي ذكرها الله في آية النساء التي تقدمت ، فمنهم من قال : الجار ذو القربى الجار الذي له قرابة والجار الجنب الأجنبي و منهم من أدخل المرأة في الجار ذي القربى ومنهم من أدخلها في الجار الجنب ومنهم من أدخل الرفيق في السفر في الجار الجنب ،ومنهم من قال: الجار ذو القربى الجار المسلم ، والجار الجنب الكافر، وجاءفي الحديث الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق وهوأفضل الجيران حقا،فأما الذي له حق واحد فجارمشرك لارحم له، له حق الجوار، وأما الذي لم حقان فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم ، فله حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم(4) . عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال: (( إلى أقربهما منك بابا))(5)." وقال طائفة من السلف: حدّ الجوار أربعون دارا ، وقيل مستدار أربعين دارا من كل جانب(6). " وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة))(7). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ))(8) . فهذه الروايات وغيرها بكثير تدل على حسن الجوار والإحسان إلى الجار بكل أنواعه، إن كان مسلما أو كافرا أو من الإقارب أوغيره، فلابد لنا أن نتبع وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن نتقنها بكل صدق و إخلاص في حياتنا اليومية.وهناك نوع آخر من

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- جامع العــلوم والحـــكم – 139

2- رواه البخـــاري – 5 / 2240- كتاب الأدب باب إثم من لا يؤمن جاره بوائقه 5670

3- رواه المســـلم - 4 / 2025-كتاب البروالصلة، باب الوصية بالجار- رقم2625

4- جامع العــلوم والحـــكم – 138

5- رواه البخــاري – 2 / 916- كتاب الهبة وفضلها- باب بمن يبدأ بالهدية- رقم 2455

6- جامع العــلوم والحـــكم – 138،139

7- رواه البخاري – 2 / 907- كتاب الهبة وفضلها، باب فضلها والتحريض عليها- رقم 2427-

8- رواه مســم – 1 / 69 –كتاب الإيمان ، باب إكرام الجار.......- رقم الحديث 48 .

الإحسان ، فمراعاتهاضروري، بل من الواجب ، حتى نحتفظ بكرامتنا الأُسرية والإجتماعية ونمد يد العون والخير للفقراء والمحتاجين ، لإيجاد المساواة في المجتمع ، وهو:

الرابع :ـ الإحسان إلى البنات والساعي على الأرملة :

وردت أحاديث كثيرة في فضل البنات والإحسان في حقهن ، منها: ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، حيث قال :(( ما من رجل تدرك له بنتان أو أختان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبتهما، إلا أدخلتاه الجنة ))(1). وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة في هذا المجال، " حينما دخلت فاطمة رضي الله عنها،أن النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا يقوم لها ويقبل رأسها، وحين تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سكنوا بعيدا عن بيت النبيّ، فذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم، إلى أحد الصحابة كان يمتلك بيتا بجوار المسجد النبوي، وقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : إني لا أطيق فراق فاطمة فهل إشتريت منك البيت ؟ فقال الرجل: يارسول الله أنا وبيتي في سبيل الله(2). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليّ إمرأة ومعها إبنتان لها، تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين إبنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم علينا، فأخبرته ، فقال: (( من إبتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار))(3) ." وشرحه في صحيح مسلم، إنما سماه إبتلاء لأن الناس يكرهنهن في العادة، كما قال سبحانه: ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ))(4).ويكون جزاؤه على ذلك الإحسان وقاية بينه وبين نارجهنم،حائلا بينه وبينها(5).وفي حديث مماثل أيضاعن عائشة رضي الله عنها قالت:جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة،ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريدأن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه أبن ماجه – 2 /1210-كتاب الأدب ، باب برّ الولد والإحسان إلى البنات- رقم 3670.قال الألباني: حديث حسن

2- أخلاق المؤمن ـ 45،46- الطبعة الخامسة-دارالمعرفة ـ بيروت-لبنان-1426هـ2005م- تأليف: عمرو محمد حلمي خالد

3- رواه البخـــاري – 2 / 514- كتاب الزكاة ،باب 9- رقم 1352- ومسلم: 4 / 2027- رقم 2629- واللفظ لبخاري

4- ســـــورة النحـــل – 58

5- المنهاج شرح مســـلم بن الحجاج – 16 / 179- ينظر: صحيح مســـلم – 4 / 2027

،فقال:(( إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار))(1). عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال- وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر))(2)."المراد بالساعى الكاسب لهما،العامل لمؤنتهما،والأرملة من لازوج لها سواء كانت تزوجت أم لا وقيل هي التى فارقت زوجها، قال ابن قتيبة:سميت أرملة لما يحصل لها من الأرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج يقال أرمل الرجل اذا فنى زاده(3).وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة..))(4). وهناك نماذج آخرمن الإحسان في المجتمع، مثل:ـ الإحسان إلى الحيوانات والبهائم: كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له )) ، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال:(( في كل كبد رطبة أجر))(5)."معناه في الإحسان إلى كل حيوان حي يسقيه ونحوه أجر وسمي الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده (6). ومن الإحسان: الإحسان في التحية، كمايقول سبحانه: (( وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ))(7).ومنها الإحسان في الجدال ، كقوله تعالى : (( وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ))(8). ومنها الإحسان في الكلام ،كما أمر سبحانه: (( وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )) (9). وقوله:(( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ )) (10).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه مســـلم- 4 / 2027- كتاب البر والصلة ، باب الإحسان إلى البنات - رقم 2630

2- رواه البخاري – 5 /2047-كتاب النفقات، باب1، رقم 5038- ومسلم : 4 /2286-كتاب الزهد باب 2 - رقم 2982- وللفظ لمسلم.

3- المنهاج شرح مســـلم بن الحجاج – 18 / 112، 113

4- رواه أبن ماجة – 2 /1210-كتاب الأدب ، باب برّ الولد والإحسان إلى البنات- رقم 3669.قال الألباني: حديث صحيح

5- رواه البخــاري – 2 / 833-كتاب المساقاة باب فضل سقي الماء- رقم 2234- ومسلم: 4/1761- رقم 2244.

6- المنهاج شرح مســـلم بن الحجاج – 14 / 241

7- ســــورة النســاء – جزء من الآية 86

8- ســــورة النحـــل – جزء من الآية 125

9- ســـورة الإسراء جزء من الآية 53

10- ســــورة فصـــلت- 33

ومن أنواع الإحسان التي يجب على المسلم مراعاتها في حياته : الصبرعلى البلاء، وصدق

الحديث ، والزهد ، والورع ، وذكر الله سبحانه ، والتواضع ، وكسب الحلال، وعيادة المريض ، وإتباع الجنائز و كفنهم ودفنهم والصلاة عليهم ، وإفشاء السلام فيما بينهم،

وطلب العلم وتعليمه بطرق صحيحة ، وأداءالأمانات ، والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة،والشكرعلى نعم الله، والتكثير في العباداة المندوبة، وحفظ الهوى والفرج، وغض البصر،.....وغيرها، وهذا جزء قليل من أنواع الإحسان ، لأن الإحسان لابد منه في كل شيء كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " إن الله كتب الإحسان في كل شيء" ولو أردنا أن نعدد أنواع الإحسان كله ، وأن نذكر فضائله لاتسعت الرسالة ، كما يقول إبن القـــيم الجوزي رحمه الله عن الإحسان :" هو لُبّ الإيمان وروح الإيمان وكمال الإيمان ولو جمعنا فضائل الأعمال كلها من صلاة وذكر وصيام والحج والزكاة والصدقة..وغيرها لدخلت تحت الإحسان بل جامع لجميع أبواب الحقائق (1). فعجيب خُلُق الإحسان هذا، دخل معنا في كل مكان ،بل إلى أماكن لم نتخيل أن يكون له علاقة بها، أوأصبح لدينا قناعة بأن كل حياتنا تحتاج إلى الإحسان(2). مع الإحسان يعيش الناس في مجتمعهم بكل فرح و سرور، وهو مصدر المحبة والأمن والأمان، وهو أساس أستقرار الحياة بكل جوانبها وسبب حفظ كرامتنا الإنسانية التي وهبها الله لنا وفضلنا على البر والبحر، لابد أن نتعامل مع الإحسان كدستورنا اليومي في ظل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكي نبني أساسنا على التقوى والإيمان ونبتعد من الأهواء و وساوس الشيطان، من أجل حياة آمن نكسب فيا مرضات الله عزوجل......

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – 2 / 460

2- أخلاق المؤمن- 55

المبــحث الثـــالث :ــ

من أهم أنواع الإحسان برّ الوالدين وصلة الإرحام وإيتاء ذي القربى .

ويشــــتمل على مطلبـــــين :ــ

المــــطلب الأول :ـ

وجــوب برّ الــوالدين وصلــــــة الأرحـــام.

المـــــطلب الثــاني :ــ

تحــــريم العقـــــوق وقطـــــيعة الرحــــم .

المــــطلب الأول :ـ

وجــوب برّ الــوالدين وصلــــــة الأرحـــام.

سندخل في هذا المطلب مع مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، التي تدل على وجوبية برّالوالدين وصلة الأرحام. كما في قوله سبحانه :(( وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى......))(1). وقوله : (( وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً )) (2)."أمر الله تعالى أمراً مبرما بأن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين بأن تحسنوا بهما ، أو أحسنوا بهما إحسانا ، لأنهما سبب الإظهار للوجود والتعايش،فإن المقصود نهى كل أحدعن تأفيف والديه ونهرهما(3). والإحسان المأموربه أن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما، ولا يخشن في الكلام معهما ، ويسعى في تحصيل مطالبهما و الإنفاق عليهما بقدر القدرة(4)." و في هاتين الآيتين إبتدأ التشريع بالنهي عن عبادة غير الله لأن ذلك هو أصل الإصلاح ، وعطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما هو في معنى الأمر بعبادة الله لأن الله هو الخالق فاستحق العبادة لأنه أوجد الناس . ولما جعل الله الأبوين مظهر إيجاد الناس أمر بالإحسان إليهما وإذا يبلغ أحد الوالدين أو كلاهما حد الكبر وهما عندك أي في كفالتك فوطئ لهما خلقك ولين جانبك(5).

"ثم إرتقى في الوصاية بالوالدين إلى أمر الولد بالتواضع لهما تواضعا يبلغ حد الذل لهما لإزالة وحشة نفوسهما إن صارا في حاجة إلى معونة الولد لأن الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعين لولدهما . والقصد من ذلك التخلق بشكره على إنعامهما السابقة عليه وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســــورة النســـاء – 36

2- ســـــورة الإســـراء- 23، 24

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبي السعود – 5 / 166

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – 5 / 26

5- تفسيـــــر التـــحرير والتنـــــوير – 2444

خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه متذللا(1). كما يقول سبحانه : ((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ))(2). وقوله أيضا :(( وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ))(3)."يقول تعالى آمرا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده ، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان(4)." فيجب أن يعاشرهما معاشرة طيبة حسنة جميلة وأن يقدم لهما كل ما يحسن من الأقوال والأفعال (5)." وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لاتقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل: أن لاترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا، ولا يريا منك مخالفة في ظاهرولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا و تدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما (6). وبجانب برّالوالدين صلة الرحم ، فقد أمرالله بها في مواضيع عدة منها : ((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ))(7). فالقرآن يجعل لذي القربى والمساكين وابن السبيل حقا،في الأعناق يوفى بالإنفاق ،فليس هوتفضّلامن أحدعلى أحد،إنما هو الحق الذي فرضه الله و وصله بعبادته وتوحيده(8). ويقول سبحانه:(( وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ))(9)." أي: إتقوا الله والأرحام وصلوهاولا تقطعوها،فإن قطيعتها مما يجب أن يتقي(10). "أو تكون تعريضابعوائد الجاهلية إذ يتساءلون بينهم بالرحم وأواصرالقرابة ثم يهمون حقوقهاولا يصونها ويعتدون على الأيتام من إخوتهم وأبناء أعمامهم،فناقضت أفعالهم وأيضا وهم آذوا النبيّ صلى الله عليه وسلم فظلموه وهو من ذوي رحمهم وأحق الناس بصلتهم(11). وقد تكررت في أحاديث كثيرة ذكر برّالوالدين كناية عن الإحسان إليهما، منها : عن

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- تفسيـــــر التـــحرير والتنـــــوير – 2445

2- ســـورة لقمـــان – 14

3- ســــورة العنـــــكبوت – جزء من الآية 8

4- تفسيـــــر القرآن العظيم – 3 / 537

5- الجامع الصحيح المختصر ، صحيح البخاري – 5 / 2225

6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تفسير أبي سعود – 5 / 166

7- ســــورة الإســــراء – جزء من الآية 26

8- فــي ظـــلال القرآن – 4 / 2222

9- ســــــورة النســــاء – جزء من الآية 1

10- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تفسير أبي سعود – 2 / 137

11- تفسيـــــر التـــحرير والتنـــــوير – 883

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، أي العمل أحب

إلى الله ؟ قال:(( الصلاة على وقتها ))،قال ثم أي ؟ قال (( ثم بر الوالدين ))،قال ثم أي ؟

قال (( الجهاد في سبيل الله ))(1). وعن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: (( أمك ,قال ثم من ؟ قال ثم أمك , قال: ثم من ؟ قال: ثم أمك, قال:ثم من ؟ قال ثم أبوك ))(2). " فيه الحث على برّ الأقارب وإن الأم أحقهم بذلك ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب ، قال العلماء: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها، وخدمتها ومعانات المشاق في حمله، ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغيرذلك(3).وعن عبدالله بن دينار وعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهماأن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه،فقال ابن دينار: فقلنا له أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال:عبدالله إن أبا هذا كان ودّا لعمربن الخطاب وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:إن أبرّالبِرّ صلة الولد أهل ودّ أبيه(4)."وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبرّ الأب وإكرامه لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ الزوج والزوجة(5).وعن عبدالله بن عمرو بن العاصرضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجرمن الله، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال نعم بل كلاهما،قال: فتبتغي الأجرمن الله ؟ قال: نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)) وفي رواية أخرى : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال:(( أحي والداك ؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد ))(6)."وهذا كله دليل لعظم فضيلة برهما وأنه آكد من الجهاد وفيه حجة لما قاله العلماء أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما اذا كانا مسلمين أوباذن المسلم منهما فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه البخـــاري – 1 / 197 – كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها - رقم 504

2- رواه البخاري – 5 / 2227- كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحابة - رقم 5626- ومسلم : 4 / 1974- كتاب البرّ والصلة ، باب برّالوالدين وأنهما أحق به - رقم 2548

3- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – 16 / 102

4- رواه مســـلم- 4 / 1979- كتاب البرّ والصلة ، باب برّالوالدين وأنهما أحق به - رقم 2552

5- المصــــدر الســـابق – 16 / 109و110

6- رواه مســـلم- 4 / 1975 - كتاب البرّ والصلة ، باب برّالوالدين وأنهما أحق به – رقم 2549

الشافعي ومن وافقه وشرطه الثوري هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين القتال وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن وأجمع العلماء على الأمر ببرّ الوالدين وأن عقوقهما حرام من الكبائر(1).فقد تكررأيضا في الحديث الشريف ذكرصلة الرحم،وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهاروالتعطف عليهم والرفق بهم والرعايةلأحوالهم وضد ذلك قطيعة الرحم(2).فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( من أحب أن يبسط له في رزقه أن ينسأ له في أثره فليصل رحمه))(3). "أن الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة و عمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضيعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبيّ صلى الله عليه وسلم، تقاصر أعمار أمته بالنسبة إلى أعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصل أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت(4)." ولإبن القيم في كتابه الداء والدواء ، كلام يقضي بأن مدة حياة العبد وعمره هي مهما كان قلبه مقبلا على الله، ذاكرا له مطيعا غير عاص ، فهذه هي عمره ومتى أعرض القلب عن الله تعالى واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياة عمره ، فعلى هذا المعنى أنه ينسأ له في أجله أي : يعمر الله قلبه بذكره وأوقاته ويأتي تحقيق صلة الرحم(5). وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ))(6).وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا قال يا رسول الله (( أن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال:لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – 16 / 104

2- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ـ 4 / 1991 - الطبعة الأولى ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ 1419هـ 1998م ـ للإمام محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ـ تحقيق : حازم علي بهجت القاضي

3- رواه البخاري- 5 / 2231 – كتاب الأداب باب البر والصلة- رقم5693- ومسلم : 4 / 1982- كتاب البرّ والصلة باب صلة الرحم- رقم 2557- وأبو داود : 1 / 529 –كتاب الزكاة باب صلة الرحم – رقم 1693 .

4- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ـ 4 / 1992

5- كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ( الداء والدواء )-36- الطبعة الأولى-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-

تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – أوينظر : - سبل السلام شرح بلوغ المرام – 4 / 1993

6- رواه مســـلم – 4 / 1981 - كتاب البرّ والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها – رقم 2555

دمت على ذلك))(1)."ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم

بما يلحق آكل الرماد الحارمن الألم ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الاثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه،وقيل معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم ، كمن يسف المل وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم(2).

وعنه أيضا ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ))(3). وعن ابن عباس أنه قال : إحفظوا انسابكم تصلوا أرحامكم فإنه لابعد بالرحم إذا قربت وإن كانت بعيدة ولا قرب بها إذا بعدت وإن كانت قريبةوكل رحم أتيه يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها ، وعليه بقطيعة إن كان قطعها(4). و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت:بلى يا رب، قال: فهو لك))(5)."وقال قاضي عياض رحمه الله: الرحم التي توصل وتقطع وتبرّ، إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم إنماهي قرابة ونسب يجمعه الرحم الوالدة، ويتصل بعضه ببعض،وسمية بذلك الإتصال رحماوالمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظم إثم قاطعها لعقوقهم((6)." وروي أن النبيّ صلى الله عليه وسلم، أتت خالته من الرضاعة فنزع رداءه عن ظهره فبسطه لها وقال مرحبا بأمي(7)."وأن أبا هريرة كان إذا غدامن

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه مســـلم – 4 / 1981 - كتاب البرّ والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها – رقم 2558

2- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – 16 / 115

3- رواه البخــــاري – 5 / 2273 –كتاب الأب ، باب إكرام الضيف - رقم 5787

4- رواه البخـــاري في الأدب المفرد – 40 – رقم 73

5- رواه البخــــاري – 5 / 2232- كتاب الأب ، باب البرّ والصلة - رقم 5641- و مســـلم – 4 / 1980 - كتاب البرّ والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها – رقم2554 .

6- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ـ 4 / 1992-

7- مكارم الأخلاق -73- الطبعة الاولى - مكتبة القرآن – القاهرة- مصر- 1411هـ1990م- تأليف : عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي - تحقيق : مجدي السيد إبراهيم

منزله لبس ثيابه ثم وقف على باب أمه، فيقول السلام عليكِ يا أمُّاه ورحمة الله وبركاته، فرتدت عليه مثل ذلك، فيقول جزاك الله عني خيرا كما ربيتني صغيرا،فتقول وأنت يا إبني فجزاك الله عني خيرا كما بررتني كبيرة، ثم يخرج، فإذا رجع قال مثل ذلك.وكان محمد بن سيرين إذا كان عند أمه خفض من صوته وتكلم رويدا .

وكان محمد بن المنكدر يضع خده بالأرض ثم يقول لأمه: ضعي قدمكِ عليه. وعن عمرو بن دينار قال : تعلمن أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرا من خطوة إلى ذي رحم(1).

إذن فنحن أيضا تعلمنا من هذه الآيات المباركة والأحاديث الشريفة والآثار النافعة، أن برّالوالدين وصلة الأرحام والإتيان بهما واحدة من أعظم الواجبات، والأدلة الواردة غيرها بكثير دليل على هذا، ومن اللازم إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشرّ بحسب الإستطاعة في هذا المجال ...............

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- مكـــــارم الأخلاق – 82 .

المـــــطلب الثــاني :ــ

تحــــريم العقـــــوق وقطـــــيعة الرحــــم .

كما بيناه سابقا أن برّالوادين وصلة الأرحام من أهمّ واجبات المسلم، و أوردنا في هذا المجال دلائل كثيرة ألتي تشيد بالإحسان إلى الوالدين والأقارب،ولا بدّ في هذا المطلب أن ننبّه على واحد من أكبر الكبائرالذي شاع بين كثيرمن الناس ، غافلين عن الوعد والوعيد بعقابهم وسوء حالهم في الدنيا والآخرة، وهوعقوق الوالدين وقطع صلةالرحم حيث وعدالله العاق والقاطع بأشد العذاب،كما يقول سبحانه:(( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ))(1). يقول الطبري في تفسير هذه الآية: " فهؤلاء الذين يفعلون هذا يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام ، ألذين لعنهم الله فأبعدهم من رحمته(2). وقوله سبحانه:(( وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ))(3). ونظيرها قوله تعالى: (( الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))(4)." و قد يدخل في حكم هذه الآيات، كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين و الكفار في نقض العهد و قطع الرحم و الإفساد في الأرض(5). و قد أمرنا الله سبحانه أن نتعامل مع الأقارب و بالأخص الوالدين معاملة حسنة،إذ نهى كل أحد عن تأفيف و الديه ونهرهما ،بقوله عزوجل : (( فَلاَتَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً،وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ))(6).وقد أمرتعالى بدلا من التأفيف والنهر، قولا كريما صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقضيه حسن الأدب(7). وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع تقوم بجانب هذه الآيات الكريمة بتحريم عقوق

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- ســـورة مــحــمـد – 22و23

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري – 11 / 320

3- ســـورة الـــرعد – 25

4- ســـــورة البــــقرة – 27

5- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري – 1 / 220

6- ســــورة الإســـراء – 23 و 24

7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – 5 / 166

الوالدين وقطيعة الرحم،وأعدها من اكبر الكبائر، كم روي عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر )) قلنا بلى يا رسول الله قال:(( الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور )) . فما زال يقولها حتى قلت ليته سكت(1).وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر،أو سئل عن الكبائر فقال: (( الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين))(2).و عن عبدالله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(( من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ))وفي رواية أخرى (( إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه )) . قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : (( يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ))(3). وعن المغيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال))(4)." وإنما خصت الأم هنا إظهارا لعظم حقها وإلا فالأب محرم عقوقه، وضابط العقوق المحرم كما نقل خلاصته عن البلقيني وهو أن يحصل من الولد لأبوين أو أحدهما إيذاء ليس بالهين عرفا(5)."وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف قيل من ؟ يارسول الله قال من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة))(6).و عن عبد الله بن عمرو قال : عطف لنا النبي صلى الله عليه وسلم إصبعه فقال:((الرحم شجنة من الرحمن من يصلها يصله ومن يقطعها يقطعه لها لسان طلق ذلق يوم القيامة))(7).

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه البخـــاري- 5 / 2229- كتاب الأدب، باب البرّ والصلة- رقم 5631- ومســـلم : 1 / 91-كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها- رقم 87- والترمذي – 4/312- كتاب البرّ والصلة، باب عقوق الوالدين- رقم 1901- وللفظ لمسلم .

2- رواه البخـــاري- 5 / 2230-كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر- رقم5632

3- رواه المســـلم – 1/92- كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها رقم90- أو ينظر: صحيح البخاري- 5/2228- رقم5628

4- رواه البخـــاري- 5/2222- كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر- رقم5630- ومسلم : 3/1340-رقم593

5- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ـ 4 / 1996

6- رواه مســـلم – 4 / 1978- كتاب البرّ والصلة، باب3 - رقم2551

7- رواه البخاري في الأدب المفرد- 33- رقم الحديث 54-

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا

قطعت رحمه وصلها))(1). وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( لا يدخل الجنة قاطع ))(2).أي قاطع الرحم، " وقال النووي في المنهاج: هذا الحديث يتأول تأويلين احدهما : حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب و لا شبهة مع علمه بتحريمها ، فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدا ، والثاني ، معناه : ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى (3).

وأخرج البخاري في الأدب وأبو داود في سننه عن أبى بكرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :( (ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغى))(4).وعن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (( إن أعمال بنى آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم))(5).

" وقد واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها فقيل هو كل رحم محرم بحيث لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى حرمت مناكحتهما فعلى هذالا يدخل أولاد الاعمام ولا اولاد الاخوال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أوخالتهافي النكاح ونحوه و جواز ذلك في بنات الاعمام والاخوال وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الارحام في الميراث يستوي المحرم وغيره ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم:" ثم أدناك أدناك "هذا كلام القاضي وهذا القول الثاني هو الصواب ومما يدل عليه حديث"ان أبر البر أن يصل اهل ود ابيه " مع انه لا محرمية." قال القاضي عياض ولا خلاف

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- رواه البخـــاري – 5 / 2233- كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافيء - رقم5645- وأبو داود- 1 / 530 – كتاب الزكاة ، باب في صلة الرحم - رقم1697-

2- رواه البخــاري – 5 / 2231- كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم- رقم5638- و مســـلم : 4 / 1981- كتاب البرّ والصلة ، باب صلة الرحم – رقم 2556- و أبوداود- 1/530- كتاب الزكاة ، باب في صلة الرحم - رقم1696- والترمذي- 4 / 316- كتاب البرّ والصلة ، باب صلة الرحم- رقم 1909

3- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – 16 / 113، 114

4- رواه البخاري في الأدب المفرد – 37- رقم الحديث 67- و أبو داود – 2 / 693 – كتاب الأدب باب في النهي عن البغي - رقم الحديث 4902-

5- رواه البخـــاري في الأدب – 35 – رقم الحديث 61

أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة و الاحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة و صلتها بالكلام ولو بالسلام . ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب لووصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لايسمى واصلا(1).

ولا يخفى علينا أن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم من أنواع الكبائر التي وعد الله سبحانه وتعالى فاعلهما بعذاب شديد في الدنيا والآخرة ، ولا يخفى علينا أيضا أنهما أمران شائعان في هذا الزمان ، بسبب إبتعاد الأمة من مقاصد الشريعة الإسلامية وترك مطالب الدين ، ونشر الفساد والفواحش والمنكرات عن طريق الأعداء من اليهود والنصارى وتشويه صورة الإسلام والمسلمين من وجوه أبناء الأمة ، ودعوتهم إلى الإبتعاد عن المباديء الأسرية والإجتماعية بنشر الفساد في وسائل الإعلام في بلاد المسلمين . لا بد أن يستيقضوا المسلمون وأن يحاولوا لإنقاذ مجتمعاتهم من مكر اليهود والنصارى وعملائهم الخائنين . وأن يصدوا طريقهم بكل مالديهم من والوسائل والإمكانيات وأن يقوموا بنشر الدين وإزالة تشويه الأعداء للإسلام والمسلمين ، وأن يأمروا بالمعوف وينهوا عن المنكر لتطهير أسرهم ومجتمعاتهم .................

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – 16 / 113- ينظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام- 4 / 1994،